أنفنائيل

١-٢٥-٢٠-٢٥-١-٠-١-٢٨-٢٣

اسم الرواية : **أنفنائيل** .

اسم المؤلف: **يوسف محمود**.

تدقيق لغوي: **هاجر جابر**.

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**.

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**.

رقم الإيداع: 2021/2372

الترقيم الدولي: 9789778441603

جميع الحقوق محفوظة للناشر اى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

Email ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

يوسف محمود

"أنفنائيل"
(لعنة المخطوطات)

إبهار
للنشر و التوزيع

إهداء

أفتَقِدُكَ كثيرًا صديقي، يا أرق وأنقى قلب عرفته، أنا أتألم بلا ألم، وأبكي بلا صوت، نارٌ في صدري بلا لَهب وقودها ذِكرى، فتيلها لحظاتٌ أنهت حياة إنسان لم تكتمل فرحَتُهُ في هذهِ الدنيا، إنسان عاش للناس، فَرِحَ لَهُم وواساهُم وأَعَان كثيرًا منهم، إنسان قَلبه كريشة الطائر الأبيض. كم أفتقدك، وكم أشعُر بالوحدة، كُل مَن هم حولي ليس فيهم من يساوونك. أشعُر وكأني في أرضٍ غريبة، أسرِحُ للحظاتٍ أتأمل فيها الماضي، يوم كُنت تدخُل عليَّ وأنت مبتسم، اشتقت لأسمع منك الكلمات التي كنت تواسيني بها، اشتقت لأسمع منك تلك الكلمات التي كنت تُشَجعُني بِها، يشهدُ الله أنني لم أرافِق أحداً من قبلِكَ لهُ مِثل ما فيك من سعةِ صدرٍ وحُسنِ خُلقك.

إهداء هذه الرواية لصديقي رحمه الله "عبد الرحمن محمد ناصر"

أدخلك الله فسيح جنَّاته.

اللغة الـ(غيراهيقية) إشارة إلى قبيلة كانت توجد في مدينة بابل في عهد سيدنا سليمان عليه السلام سُمِّيت بذلك؛ نظرًا إلى اسم قائد القبيلة، كان قليل منهم يستخدم هذه اللغة؛ إذ إنها كانت تُستخدَم كرسائل مشفرة من قِبَل محاربي القبيلة؛ حتى لا يستطيع أعداؤهم معرفة ما تحتويه، وذلك لأن نسبة كبيرة من النصوص الغيراهيقية نصوص سرية وشعائر تسخير، بدأ بعض الأشخاص في القرية بتعلُّم السحر بعد نزول الملكين هاروت وماروت في مدينة (بابل)، فأدخلوا اللغة الغيراهيقية واستخدموها في السحر، وكانوا يكتبونها بقلم البوص والحبر، إضافةً إلى ذلك؛ كانت الغيراهيقية تُكتب على البردي بعود رفيع من الغاب مدبَّب السن يُغمَس في حبر أسود أو أحمر في بداية الفقرات أو عند كتابة أسماء المخلوقات الشريرة من عشائر الجن، وكُتبت الغيراهيقية في سطور عمودية، ثم كتبت بعد ذلك بالتدريج في سطور أفقية من اليمين إلى اليسار، وانتشرت اللغة في مدينة بابل بالكامل ومِن ثَمَّ أصبحت أقوى اللغات المشفرة استخدامًا ولغة أكثر من قبيلة في مدينة بابل وتستخدم في السحر، وبعد مرور أكثر من مئات الأعوام على سقوط الدولة الغيراهيقية فقدت اللغة الغيراهيقية قوتها وتناست اللغة تمامًا.

الفصل الأول
"حفلة عيد الميلاد"

في قرية في إحدى محافظات صعيد مِصر.

"شريف عطية الراوي"، هذا اسمي، واليوم أُكمِل عامي الخامس والعشرين.

تخرَّجت من كلية الطب منذ عامين، وأصبحت طبيبًا في مستشفى القرية كما كانت تتمنى أمي وجدي، أتذكر دائمًا مقولة جدي لي: "نفسي تطلع دكتور يا شريف علشان تكشف عليا وتعالجني وتساعد الناس الغلبانة اللي في قريتنا".

تُوفِّي والدي بأزمة قلبية عندما كان عمري ثلاث سنوات، وكان جدي حسني بالنسبة إليَّ أبي، فهو من تولى تربيتي منذ وفاة والدي.

أعيش أنا وجدي وأختي وأمي في بيت جدي المتكون من طابقين، طابق في الدور الأرضي يعيش فيه جدي، وأعيش أنا وأختي وأمي في الطابق الأول؛ إذ كان جدي بمثابة أبٍ لنا جميعًا.

اليوم يُكمل جدي عامه السبعين، ولدتُ في تاريخ اليوم نفسه الذي وُلِد فيه جدي أيضًا، فكانت صدفة القدر الجميلة. أتذكر كلَّ قصةٍ قصَّها عليَّ وكلَّ حكمةٍ قالها لي في صغري راسخةً في عقلي حتى الآن؛ فما كان مني إلا أن أُكرمَ جدي على حُبه وتشجيعه لي بالاحتفال بعيد ميلاده، ولتكون مفاجأة له يسعد بها كما كان سببًا في سعادتي منذ ولادتي، اليوم حفلة له.. والاحتفال به هو وليس أنا.

خرجت من غرفتي، وإذ بي أجد والدتي تَعِدُّ الغداء وبعض الحلويات الشهية.

- صباح الخير يا أمي.

لترد لي الصباح بوجهِها الجميل وابتسامتها التي أحبُّ أن أراها بها لتقول لي:

- كل عامٍ وأنتَ سعيد وبخير يا شريف، عيد ميلاد سعيد عليك.
- وعليكِ يا أمي، أين جدي، ألم يصعد للإفطار معنا كعادته؟
- لقد صعد وتناول الإفطار، ونزل وذهب إلى مكتبته أيضًا.
- ذهب!! كيف صار كل ذلك وأنا نائم؟ هل كنت نائمًا نومة أصحاب الكهف أم ماذا يا أمي، ولماذا لم تيقظيني، وكم الساعة الآن؟
- نعم، كان واضح عليك الإرهاق والتعب، ورفض جدك أن نوقظك؛ لأنك رجعت من المستشفى بالأمس في وقت متأخر، فقال نتركك لتنام، والساعة الآن الثانية ظهرًا، هل أنت ذاهب اليوم إلى المستشفى؟
- لا، اليوم خاص بالاحتفال بجدي، لن أذهب إلى أي مكان، وأخذت إجازةً من المستشفى اليوم خصِّيصًا له.

أمي مبتسمة:

- سَلِمتُ يا ولدي، هيا اذهب لكي تصلي الظهر وتتناول إفطارك، ثم اذهب لجدك لتجلس معه، وتأتي به عندما أتصل بك لتناول الغداء.

- حسنًا حسنًا، ولكن أين أختي ياسمين، فأنا لا أراها!

- ياسمين ذهبت إلى خالتك، وسوف يأتون جميعًا بعد قليل لمساعدتي، والآن اذهب لتفعل ما قُلته لك.

أنهيت محادثتي الجميلة مع أمي لأذهب لأتوضأ وأصلي الظهر، وحينما كنتُ أصلي كان هاتفي يرن مرةً تلو الأخرى.. حتى أنهيت صلاتي ومسكتُ هاتفي لأجد بأنه صديقُ الطفولة "عمر" فاتصلت به، وبعد اتصال تلو الآخر ردَّ عليَّ.

- لمَ أخذت كلَّ هذا الوقت حتى ترد عليَّ؟

- كنت نائمًا واستيقظت ثم ذهبت لصلاة الظهر.

- حسنًا تقبل الله منك، كنت أريد أن أهنِّئك بعيد مولدك، كل عام وأنت بخير يا صديق طفولتي، أين أنت الآن هل ستذهب للمشفى اليوم؟

- منَّا ومنكم، وأنتَ بخير وسعادةٍ، شكرًا لك أنت أوَّل من يهنئني اليوم بعيد مولدي، ولكن لن أذهب إلى المشفى فأنا في عطلةٍ اليوم من أجل الاحتفال بعيد مولد جدي اليوم أيضًا.

- كل عامٍ وهو بخير وصحةٍ وسعادة، والآن ارتدي ملابسك سوف نخرج اليوم أنا وأنت وهشام وصلاح لنحتفل بعيد مولدك.
- لا، لن أخرج مع أحد اليوم، هو يوم جدي فقط، ثُمَّ هل أنتم في عطلةٍ دائمة! أليس لديكم عملًا لتذهبوا إليه؟
- ماذا بك! اليوم هو عطلة الأسبوع نحن الجمعة اليوم، هل نسيت؟ ثم إنني أريد التحدث معك بموضوع هام جدًّا.
- لا، لدي فكرة أخرى، تعالوا أنتم لنحتفل بمولد جدي معًا، سأنتظركم اليوم عند الثامنة مساءً، وسوف نتحدث بما تريد التحدُّث به.
- فكرة جيدة أيضًا، حسنًا، سوف أخبرهم بذلك، ماذا ستفعل الآن؟
- سأذهب إلى جدي في المكتبة.
- حسنًا، وداعًا.

بعد انتهاء المكالمة ارتديت ملابسي ونزلت وذهبت إلى جدي للجلوس معه حتى انتهاء اليوم.

تمشيت إلى أن وصلت إلى مكتبة جدي التي تضم جميع أنواع الكُتب الدينية والتاريخية، وجميع الكتب النادرة وبعض الأنتيكات، وعلى الرغم من وجود مكتبة جدي في قرية متواضعة، ولكن يأتي الناس له من جميع أنحاء المحافظات لكي يستعيروا بعض الكتب منه؛ لأن جدي لا يبيع الكتب النادرة لأنه يعدُّها كنزه الخاص.. دخلت المكتبة لأجد جدي جالسًا

على كرسيه أمام مكتبه واضعًا عصاه القديمة المتهالكة التي يتكئ عليها بجانبه، ويشاهد تلفازه الصغير الموضوع على مكتبه، لأقطع مشاهدته للتلفاز.

- هل يصح ما فعلته يا جدي؟
- عمَّ تتحدث يا شريف، ماذا فعلت؟
- هل يصح ألا تُوقظني لتناول الإفطار معك؟
- هذا فقط! لقد جعلتني أشعر بالقلق يا شريف لفعلي شيئًا أحزنك.
- أنا لا أستطيع أن أحزن، قد أحزن من الجميع إلا أنت يا جدي، أنت تعني لي الحياة بأكملها.
- لا يتحمل قلبي كلَّ هذا الكلام الجميل.
- اليوم لدي عطلة، وسوف أقضي اليوم بأكمله معك
- يا مرحبًا بك يا بني، ولكن ألن نذهب إلى الغداء مع والدتك؟
- لا، إنهم عند خالتي وسيأتون في الليل سنتناول الغداء في الخارج، مكتبتك جميلة يا جدي.
- بذكرك للمكتبة، أريدك أن تعرف شيئًا.. ستكون هذه المكتبة ملكًا لك بعد وفاتي.
- شكرًا لك يا جدي، ولكن لا أريدك أن تقولَ هذا الكلام، أريدك أن تجعل اليوم ممتعًا لا أن تجعله حزينًا.
- حسنًا، أخبرني كيف حالك وحال عملك، وماذا عن المستشفى؟

- كل شيءٍ بخير حال.

- ولماذا تقولها وأنت حزين هكذا؟ ماذا يحدث معك أخبرني؟

- صراحةً يا جدي هناك شيءٌ ما يضايقني، كان من المفترض أنَّ غدًا هي أوَّل عمليةٍ سأجريها وكنت سعيدًا جدًّا ومتحمِّسًا لهذا، ولكن أُلغِي هذا القرار وسيجعلون صديقي هو يُجريها وليس أنا.

- ما المحزن بهذا يا بني! من الأفضل أن تقولَ (لعله خير)؛ أي شيء يحدث معك ولم يكتمل احمد الله عليه لعله خير لك وأنت لا تشعر، لأن الله لا يأتي إلا بالخير، ويجب أن تكون لديك قناعة بحكمة الله بكل شيء، ربما هي اختبارات لك من عند الله ارضَ بما يقسمه الله لك حتى تجد الخير دائمًا، واصبر وما صبرك إلا بالله.

- كلامك يا جدي يُشعرني بالارتياح، شكرًا لك، ولكن...

- ليس هناك لكن.. سأخبرك بشيء، ألم تلحظ أنك عندما كنت صغيرًا وكنت أعلمك دائمًا أن كلَّ شيء يحدث معنا نقول لعله خير، ألم تسمعني أقول دائمًا هذه الجملة وكنت أنت ترددها معي أيضًا، جملة "لعله خير" لها قصةٌ سأرويها لك، وحينها ستفهم حكمة الله في كل شيء.

- تفضل يا جدي، كلي آذان صاغية.

- كان يا ما كان، كان هناك ملك، وكان عند الملك وزيرًا يتمتع بحكمة كبيرة ويثق أنَّ كل ما يقدِّره الله لنا هو خير، وفي يوم من الأيام خرج الملك برفقة الوزير للصيد، وكلما فشل الملك من إصابة

فريسته قال له الوزير "لعله خير"، وفي أثناء مسيرهما فَقَد الملك توازنه بعد ما تعثَّر في جذر من الأشجار في الأرض، فأصاب السهم الملك في إصبعه، فقال الوزير "لعله خير"، ثمَّ نزف من يد الملك دمًا كثيرًا، فذهبا إلى القصر وأحضر الطبيب فقال له الطبيب "يجب قطع الإصبع" وأمر بقطع الإصبع حتى لا يتضرر باقي الجسم بسببه، فغضب الملك غضبًا شديدًا ورفض الخضوع لأمر الطبيب، لكنَّ إصبعه لم يتوقف عن النزيف ممَّا أجبره على قطع إصبعه؛ فقال له الوزير "لعله خير"، فسأل الملك الوزير "وما الخير في قطع إصبعي" وغضب بشدة وأمر حرَّاسه بالقبض على الوزير وحبسه فقال الوزير "لعلّه خير"، فنظر له الملك بغضب وبعدها قضى الوزير فترة طويلةً داخل الحبس، وفي يوم من الأيام خرج الملك للصيد مصطحبًا معه حراسه، وحين كان يصطاد ابتعد عن حراسه وفقدوا آثار بعضهم البعض؛ فوقع الملك في يد جماعة من الأشخاص الذين يعبدون الأصنام؛ إذ أخذوه بهدف تقديمه قربانًا للأصنام التي يعبدونها، وعندما ربطوه واستعدوا لتقديمه قربانًا وذبحه صرخ قائدهم بأن يتوقفوا، لأنه وجد إصبعه مقطوعًا، فأمر بتركه وإعادته من حيث أتى، وذلك لأنَّ القربان يجب أن يكون كاملًا بغير عِلَّة، ثمَّ عاد الملك إلى القصر مبتهجًا لنجاته من الموت بأعجوبة، وطلب من الحرَّاس أن يحضروا الوزير إليه، ثم أحضروه وروى الملك عليه ما حصل معه واعتذر منه عمّا بدر منه، ثمَّ سأله عن سبب قوله (لعلّه خير) عندما أمر الحراس بأن يسجنوه وما الخير في سجنه؟! فأخبره الوزير بأنَّه لو لم

يسجنه لكان سيصطحبه معه إلى الصيد كما يفعل عادة وسيكون قربانًا للأصنام بدلًا منه الآن، وأخبره الوزير أنَّ الله عندما يأخذ من الإنسان شيئًا فإنَّما يكون ليمتحنه الله ولخير يجهله العبد؛ ففرح الملك كثيرًا وقال "لعله خير".

هل علمت يا بني أن عدم إجرائك عملية الغد سيكون خيرًا لك، أنت لا تعلم الآن ما الخير في ذلك، ولكن ستأتي لي يومًا ما وستخبرني عندما تكتشف حكمة الله وخيره عليك بإبعادك عن إجراء العملية.

- أنت محق يا جدي لعله خير، هذا الكلام رائع جدًّا وجعلني أتحسن، أنت ككتاب التاريخ أكتسب منه خبرات ونصائح غاليةً جدًّا.. أتمنى أن أصبح مثلك حقًّا.
- ستُصبح مثلي وأفضل مني أيضًا، أنا متأكد من ذلك، أنت أخذت مني كثيرًا من الصفات.

بعد انتهاء حديثي مع جدي جلسنا لمشاهدة التلفاز حتى أتى موعد أذان العصر صلينا وذهبنا إلى المطعم للغداء، وبعد الانتهاء من تناول الغداء عدنا بعدها إلى المكتبة وجلسنا نشاهد التلفاز أنا وجدي. هناك، دخل رجل غريبٌ عن القرية وطلب التحدُّث مع جدي على انفراد، فقال لي جدي أن أتركهما يتحدثان وأن أذهب إلى تحضير القهوة، تركتهما ودخلت إلى الغرفة الجانبية للمكتبة، وهي عبارة عن مطبخ صغير، وفي حين أنا أحضِّر القهوة سمعت صراخًا شديدًا في الرجل، فأسرعت بالخروج فوجدتُ جدي يطرده.

- اخرج، لا أريد أن أراكَ مرة أخرى.

- لن أتضايق منك، ولكن أنتظر ردَّك.

وخرج بعدها الرجل الغريب.. لأتحدث مع جدي عن سبب صراخه وما قال له هذا الرجل؟

- إنه يريد أن أبيع له بعض الكتب القديمة، ويُهددني ببيعها، لا تشغل بالك يا بني إنه شخص مجنون.

لم أقتنع بما قاله جدي وملامح وجه تملؤوها الغضب، لم أرِد أن أزيد عليه ما هو فيه.. في هذا الوقت سمعنا أذان المغرب.

جدي:

- هيا لنصلي.

ذهبنا إلى الصلاة وبعد انتهاء الصلاة تلقيت مكالمةً من والدتي تطلب مني الرجوع إلى المنزل، فأخبرت جدي أن والدتي عادت إلى البيت ويجب أن نعود.. تمشينا معًا وفي أثناء المشي والعودة إلى المنزل أخذنا نتحدث أنا وجدي، فقال لي:

- يا شريف، ألن تتزوج؟ أريد أن أرى صغارك قبل وفاتي، أم تفكر بفتاة معينةٍ أو معجب بفتاة معينة!

- أضحكتني يا جدي.. لا، لم أفكر بهذا على الإطلاق.

- تكلم أيُّها الكاذب، عيناك تقول غير ذلك، أتخفي شيئًا عن جدك أيضًا!

- لا، صراحةً نعم.. سأحكي لك يا جدي الحقيقة، أنا معجب بشهد صديقة ياسمين، إنها فتاة طيبة وأشعر بأنها تُشبهني في الصفات.
- إنَّها فتاة رائعةٌ وذات أخلاق حميدةٍ، سنذهب غدًا إلى والديها وأخطبها لك.

ضحكت وقلتُ له:

- لا يا جدي، ليس بهذه السرعة أنا لست مستعدًا الآن، لننتظر قليلًا.
- حسنًا، قرِّر وأنا معك.
- سترى يا جدي، انتظر قليلًا.

أسرعنا بالعودة إلى المنزل، ثُمَّ قلت لجدي أن يصعدَ معي حتى نتناول العشاء جميعنًا، وعندما صعدنا أعطيت جدي المفتاح ليفتح هو الباب ويُنير الضوء، ففتح جدي وأنار الضوء فتفاجأ بتجمُّع الأصدقاء وجميع أفراد العائلة، وصرخوا في صوت واحدٍ "مفاااااجأة"، فضحك جدي وقال:

- هذا أفضل احتفال بعيد مولدنا يا شريف.

ثم قدَّموا لنا الهدايا، بعدها قال عمر صديقي:

- سأخبركم بعد الاحتفال بشيء إذا فعلناه سنُصبح مشهورين في القرية وسنصبح أثرياء.

فقلنا له "حسنًا" وضحكنا جميعًا والفرحة تملأ وجه جدي، وبعد انتهاء الاحتفال صعدنا أنا وأصدقائي إلى سطح المنزل لنعرف مِن عمر ما هذا الشيء الذي يريد إخبارنا به!

عمر:

– انصتوا إلى حديثي للنهاية دون مقاطعة، من المؤكد أنكم سمعتم عن الشخص الذي يُدعى عتمان الذي حُرِق منزله ولم يجدوا جثته بعد إطفاء الحريق.

هشام:

– أخبرني والدي عنه، ولكنِّي لم أرَه من قبل، أخبرني أنه كان دجالًا يستخدم السحر والشعوذة، والسكان الذين يعيشون حوله يسمعون أصواتًا غريبة ومفزعةً، ولم يستطع أحد الاقتراب من منزله بعد هذه الحادثة، ولكن و...

عمر:

– كلُّ هذا الكلام مجرد قصص وتخاريف، وليس له وجود من الأساس، وغير ذلك ربَّما نجد أشياء ثمينةً بداخله، يقول أهل القرية إنه دفن بغرفة من الغرف ذهب، أعطته إيَّاه سيدات القرية مقابل هذه الأعمال، وعندما احترق البيت قيل إنه هرب ولم يستطع أخذه، وهناك من يقول إنه مات جراء الحريق، وغير ذلك، سنصبح مشهورين جدًّا أيضًا، وإننا أصحاب القلوب الشجاعة وسيَحكي عنَّا أهل القرية بأكملها، إضافةً إلى ذلك؛ بداية من الساعة العاشرة لا يمرُّ أي شخص أمام هذا المنزل ولا الشارع، سنستغل نحن هذا في إتمام ما نريده، ما رأيكم بهذا؟! سنفعل هذا ونقسِّم بيننا ما نجده ما رأيكم؟

صلاح:

– من أين عرفت بموضوع الكنز؟

عمر:

– جميع من في القرية يعرفون بأمر الكنز، ولكن لا أحد يجرؤ على دخول البيت، وسنكون نحن أول من يدخل ويجد الكنز.

فسكت الجميع يفكِّرون في الأمر.

صلاح:

– إنني أوافق على هذا، ما رأيك يا شريف؟

– لا، ما هذا! لا أستطع فعل هذا، ثُمَّ إننا لا نحتاج لهذه الأشياء، نحن لسنا فقراء، إننا نعيش عيشة جيدة لا نحتاج لهذا.

عمر:

– أقول لكم أن تأتوا معي ونقسم الكنز معًا بدلًا من أن أذهب بمفردي، ما رأيكم؟

هشام:

– لا أعلم، سوف أفكِّر في الأمر.

عمر:

- يعني ذلك أنه لا يوجد غير صلاح من سيأتى معي، كما تريدون، ولكن إذا فكرتم بالأمر وغيرتم رأيكم اتصلوا بي، سنذهب يوم الخميس القادم، وإذا لم تأتوا سأذهب لوحدي.

فقال كلٌّ من هشام وعمر:

- جميعنا موافقون على هذا إلا أنت يا شريف. حسنًا، افعل ما يحلُ لك.. كلُّ عام وأنت بخير يا شريف، سنذهب الآن ونتركك تفكِّر بالأمر... وداعًا.

ليذهبوا لأبقى فوق سطح بيتي وحيدًا كما كنت أشعر دائما، لأقف أتأمل السماء الصافية ونجومها اللامعة وأُفكِّر في كلام عمر ولماذا تعصبت إلى هذه الدرجة، فالموضوع ليس كبيرًا! هل بسبب حكاية جدي عن عتمان وأنا صغير سببًا في تعصبي، وهل أنا أرفض فكرة عمر بسبب الخوف عليهم! لا لا... أنا الخائف، فعتمان بالنسبة إليَّ عقدة طفولتي، حتى أنني وأنا صغير كنت أعتقد أن لعتمان عفريتًا سيأتي إليَّ وأنا صغير ويؤذيني.. نعم، أنا الآن أعرف الحالة التي أنا بها، أنا خائف من عتمان حتى ولو كان ميتًا أو حيًّا، ويجب كسر هذه العقدة بأن أذهب معهم، وكما قال صلاح لن نخسر شيئًا.

الفصل الثاني
"لعله خير"

نزلت بعدها فوجدت جدي وأمي وخالتي وزوجها وأولادها جالسين في صالة الضيوف، ومن ثَمَّ جلست معهم وهم يتحدثون وأنا في عالم آخر من التفكير، ليقطع تفكيري خالتي وزوجها وهما يودعوننا للذهاب، فودعتهما لأجد بعدها ياسمين أختي تنادي عليَّ.

ياسمين:

– شهد تريد أن تعيطك شيئًا ما.

لتنادي أمي على ياسمين لتذهب لمساعدتها؛ لأقف أنا وشهد مع بعضنا.

– تفضَّل يا شريف، كل عام وأنت بخير.

وأعطتني هديتي.

– وأنتِ بخير يا شهد، لماذا كلَّفتِ نفسك؟

– لا يوجد تكلفة، وأرجو أن تنال إعجابك، أنا مضطرة أن أذهب لأن الوقت تأخر.

– أكيد، ستعجبني.

الوداع يا ياسمين، سأغادر.

جدي:

– انتظري يا شهد سيوصلك شريف، لن تذهبي بمفردك في هذا الوقت المتأخر.

– لا، لا داعٍ لأن أتعبه معي.

جدي:

– لا يوجد تعب، أليس كذلك يا شريف؟

– أجل، جدي عنده حق، سأوصلك فأنتِ مثل أختي ياسمين.

لينظر جدي إليَّ ويضع يديه على وجه؛ فأشير له وأقول بتحريك فمي "ماذا؟".

نزلت أنا وشهد، ثُمَّ سألتها أين تسكنين؟

– أسكن في نهاية طريق القرية. ثم قالت: سأركب أي سيارة أجرة من الطريق الرئيس.

– آه حسنًا لنذهب، سأوصلك.

لنمشي بعدها للوصول إلى الطريق الرئيسي الذي توجد به جميع وسائل النقل، علمًا بأن المسافة بين بيتي وبين الطريق الرئيسي تستغرق عشر دقائق مشيًا على الأقدام، فكنا نتمشى أنا وشهد دون كلام بسبب خجل كلٍّ منَّا الواضح من الآخر، حتى قطعت هي الصمت!

– كان يومًا جميلًا، وجدك شخصية جميلةٌ للغاية، بارك الله في عمره.. أصدقاؤك أيضًا كانوا لطافًا ويمزحون معظم الوقت، إنهم لطفاء، وبالأخص صديقك عمر.

لأشعر وهي تقول ذلك بشعور لم أشعره قط؛ شعور ممزوج ببعض الغضب، لماذا؟ لا أعلم!

لأرد عليها بشيء من البرود:

- نعم يا شهد، إنهم لطاف لأنهم أصدقائي، وعمر هو صديق طفولتي وهو شخص جيد أزوجك به.

لتنظر لي بعدها باستغراب.. حتى يعود بعدها الصمت مرة أخرى بعد ردي لأجد أننا وصلنا إلى الطريق، فأوقفت لها سيارة الأجرة وهي تنظر لي، وأنا بداخلي أريد أن أقول شيئًا ما، أريد أن أصارحها، ولكن بماذا!

في تلك اللحظة دارت حرب شديدة بين عقلي وقلبي، حرب بين اثنين مختلفين تمامًا، فالعقل يفكر بالمستقبل وعواقب ما سيخرج من قلبه عن طريق لسانه، والقلب لا يفكر، فالقلب أعمى لا يهمه ما سيترتب على ما يشعر به، هو فقط يريد أن يستمر بالنبض وأن يشعر بالراحة، رغم أن جميع اختياراتي التي نسيت فيها عقلي واتبعت فيها قلبي كانت أكثر القرارات خيبة وخذلانًا لقلبي وعقلي.. لأنتبه بعدها لشهد وهي تناديني باسمي، لأنظر لها:

- شكرًا على مجيئك عيد ميلادي أنا وجدي، كان يومًا رائعًا بك.

لتشكرني بعدها على توصيلها لتركب سيارة الأجرة وترحل، وعدتُ أدراجي إلى البيت مرة أخرى، فما إن وصلت حتى فتحت باب البيت وصعدت الدرج، ففتح جدي باب شقته سريعًا ونادى عليَّ، كأنه كان ينتظرني، لأعود إلى أسفل مرة أخرى، فقلتُ:

- هل أنت بخير يا جدي؟

- نعم يا بني، ولكن كنت أريد أن أتحدث معك في موضوع ما.

- سأصعد وأبدل ملابسي وآتي إليك.

– وأنا في انتظارك.

صعدت الدرج وفتحت باب شقتنا ودخلت إليها، فوجدت أختي وأمي جالستين يشاهدان التلفاز، قلت لهما سوف أُبدل ملابسي وأنزل إلى جدي.

دخلت إلى غرفتي وبدلت ملابسي، وأخذت ما اشتريته سابقًا "هدية لجدي" ونزلت بعدها لجدي، طرقت الباب حتى فتح لي، ودخلت وجلست على الأريكة، لأقول لجدي:

– ما الأمر الذي كنت تُريدني به؟

قال لي:

– قبل التحدث عما أريدك به، ماذا فعلت مع شهد؟

– لم أفعل، أوصلتها فقط.

– فقط! ألم تتحدثا؟

– كانت تتكلم عليك، وقالت إنك لطيف وأصدقائي أيضًا، فرددت بـ "نعم"، وعاد الصمت.

– اللهم صبرًا، كانت أمامك فرصة ذهبية للتقرب منها والتعرف عيها أكثر، ولكن ماذا أقول؟ كنت أريد أن أعطيك شيئًا ما، ولكن أريد أن أقول لك أمرًا، أنا أعلم جيدًا حبك الشديد للقراءة والكُتب، وأنت تشبهني في كثير من الأمور؛ ولذلك..

أخرج ورقةً من جيبه، وقال لي:

- لذلك كتبت المكتبة لك باسمك، لتكون محافظًا عليها حتى لا تتفكك أو يبيعها أبنائي، ولكن وصيتي لك أن تحافظ عليها مثلما كنت محافظًا أنا عليها، وأن تذهب أرباح المكتبة بالتساوي على العائلة أيضًا، أعلم أنك صغير في السن، ولكن لن أضمن أحدًا غيرك بعد موتي على مكتبي وكنزي، ولكن لا تفصح عما أقوله لك إلا بعد موتي.
- أطال الله في عمرك يا جدي، لا أعرف ماذا أقول لك، ولكن أعدك بأنني سأحافظ عليها وأنفذ ما قلته لي.

وبعدها أخرجت هديته وأعطيتها له، كانت عصا جديدة له، وكان في قمَّة السعاد منها، لأقول لجدي:

- كنت أريد أن أسألك عن شيء يا جدي.
- ما هو؟
- هل صحيح أنه يوجد كنز مخبَّأ داخل بيت عتمان؟
- إنها تخاريف يقولها أهل القرية من بعد حريق بيت عتمان، ولا يوجد أحد دخل بيت عتمان، ولكن لماذا؟
- عمر من قال لي.
- ولماذا قال لك ذلك؟
- لأنه...
- لأنه ماذا!

- لأنه كان يريد الذهاب إلى بيت عتمان ويبحث عن الكنز.
- فجأة تغيرت ملامح جدي، وأصبحت حادة وعصبية، وقال لي بحزم:
- تبحثون عن الكنز وتدخلون البيت، من المؤكد أنه قال لك أن تذهب معه! أتعلم يا شريف، إذا ذهبت معه سيكون آخر ما بيني وبينك، بيت عتمان ملعون، حذارِ يا شريف أن تذهب، أتفهم؟
- حسنًا حسنًا لن أذهب، لقد رفضت ما قاله لي لا تقلق.

لتهدأ ملامح جدي ويعود كسابق عهده.

- لذلك أعطيتك المكتبة؛ بسبب تفكيرك وعقلك الكبير، حفظك الله يا بني.

بعدها شكرت جدي على هديته الغالية، كانت سعادتي ليس بكتابته المكتبة باسمي، لا، ولكن كانت سعادتي بأنه يراني مِثله، ويرى أني أمين وأستحق أن أحافظ على ما يخصه؛ وكان هذا سبب سعادتي الكبيرة، بعدها صعدت إلى شقتنا ودخلت إلى غرفتي، كانت الساعة الثانية صباحًا، فتحت الهدايا جميعها ثم فتحت هدية شهد، وكانت عبارة عن ساعة يد جميلة، وضعتها في خزانة ملابسي، واستلقيت على سريري لأغرق في نوم عميق.

استيقظت على صوت المنبه في تمام الساعة الثامنة صباحًا؛ ميعاد الذهاب إلى العمل، استيقظت وغسلت وجهي وارتديت ملابسي، حينها كانت أمي تعد الإفطار، وصعد جدي كالعادة لنتناول فطورنا، لننزل أنا وجدي لذهاب كلٌّ منا إلى عمله.

خرجت إلى الطريق الرئيسي وركبت الحافلة ووصلت بعدها إلى المستشفى، كان يومًا مليئًا بالمرضى، ولكن حين دقَّت الساعة لميعاد رحيلي، وبعد ارتداء ملابسي والخروج من غرفة تغيير الملابس، وجدت صريخًا وبكاءً في غرفة الاستقبال؛ والسبب وفاة حالة داخل غرفة العمليات، والمفاجأة أنها كانت المريضة التي كنت سأجري عمليتها الجراحية، ولكن كان زميلي الدكتور طارق من أجراها، وفشلت العملية وتُوفِّيت، لم أكن أصدق.. تذكرت حينها القصة التي حكاها لي جدي؛ حكاية "الملك والوزير الحكيم" وقلت لنفسي "لعله خير"!

أسرعت بالخروج من المستشفى والعودة إلى البيت، طرقت على باب جدي حتى فتح الباب، لأخبره:

- جدي أعلمت بالذي حدث؟
- ماذا حدث؟
- أتتذكر العملية الجراحية التي كنت من المفترض أن أجريها اليوم، وزميلي الدكتور طارق من أجراها؟
- فشلت وتوفيت المريضة!
- كيف عرفت؟
- لأنها حكمة الله.
- ما حكمة الله في موت المريضة!

- المريضة كان مقدر لها أن تتوفى؛ لأن عمرها انتهى، والحكمة هنا يا شريف، أن الله لم يريد لك أن تجري العملية لها، لأنها كان مقدر لها الموت، ولكن حكمة الله أنه إذا كنت أجريت العملية الجراحية وأن تكون عملية جراحيةً لك كطبيب تفشل وتحمل الذنب لموتها في بداية طريقك، وكنت ستفقد الثقة في نفسك كطبيب، والمستشفى كانت ستستبعدك من إجراء عمليات أخرى، لذلك أجرى طارق العملية الجراحية، لأنه أقدم منك، وأجرى عدة عمليات جراحية؛ لذلك لن يكون مثلك حزينًا عندما فشلت العملية، جميع هذه المواقف تؤكد لك أن لحكمة الله أسبابًا.

- الحمد لله يا جدي على كل شيء.. أتأسف لك، لقد أيقظتك.. أعلم أن هذا الوقت وقت نومك.

خرجت بعدها وصعدت إلى شقتي لأجد أمي وأختي نائمتين، وكانت أمي قد تركت لي العشاء كالعادة.

تناولت الطعام ودخلت بعدها، فاستلقيت على سريري ونمت، ظل روتيني لمدة ثلاثة أيام هكذا، وعلى الرغم من ذلك، كان اتصال ورسائل عمر وصلاح مستمرة بمحاولة إقناعي بأن أذهب معهم، كنت رافضًا لأمر الذهاب، ولكن في يوم الثلاثاء استيقظت من النوم لأخرج من غرفتي وأغسل وجهي، وبعدها جلست على السفرة، كانت أمي وياسمين يحضران الإفطار، وجدي جالس؛ إذ كان التلفاز يعمل على قناة القرآن، وظهرت الكعبة الشريفة وجدي شارد ويتحدث لنفسه، ويقول:

- أتمنى قبل أن أموت أن أزور الكعبة وأحج أو أعتمر.

ياسمين:

- بارك الله في عمرك يا جدي، لا تقل ذلك مجددًا.

ليرد جدي:

- كلنا سنموت يا ياسمين، ولكن هناك من يموت وهو على الصراط المستقيم، وهناك من يموت عاصيًا، فاللهم اجعلنا من التائبين.

تناولنا الفطور وذهبنا إلى عملنا كالعادة، لكن جملة أن جدي يريد أن يذهب لأداء عمرة أو حج لم تفارق عقلي، جدي يستحق ذلك، ولكن ليس معي المال الكافي لذلك، ماذا سأفعل الآن؟ ثم أمسكت هاتفي لأجد رسالةً من عمر يقول لي "الخميس سنذهب إلى بيت عتمان، إذا كنت تريد المجيء سوف نكون في تمام الساعة الحادية عشر أمام البيت، وفي الساعة الحادية عشر والنصف سندخل، واشتري مصباحًا يدويًا وأنت قادم".

تركت هاتفي وأنا في حَيرة من أمري، هل أذهب وأعصي جدي؟ ولكن! لا أعلم، هل أذهب ونجد الكنز وأحجز تذكرةً لجدي للذهاب إلى بيت الله الحرام والقيام بشعائر العمرة أو الحج، ولن يعرف جدي بذهابي.

انتهى عملي وذهبت إلى بيتي، ودخلت إلى غرفتي واستلقيت على سريري، وقبل الغوص في النوم أمسكت هاتفي وأرسلت رسالةً إلى عمر بموافقتي على الذهاب، لأنام بعدها.

يوم الأربعاء

"من سيقرأ هذا الكتاب سيموت"

استيقظت وأخذت إجازةً بحجة أني مريض، وذلك لكي أقضي اليوم مع جدي وأمي وأختي قبل ذهابي غدًا معهم، أغلقت هاتفي وخرجت من غرفتي، فوجدت جدي، وأمي تعد الإفطار.. تناولنا الإفطار وارتديت ملابسي وأخبرت جدي أني سأقضي معه اليوم في المكتبة، لأنني إجازة اليوم، وفرح كثيرًا ورحَّب بالفكرة.

بعد تناول الإفطار ذهبنا أنا وجدي إلى المكتبة وفتحناها، وجلس جدي إلى مكتبه وفتح التلفاز، حتى جاءت السيارة التي تحمل الكتب الجديدة لمكتبة جدي، فأدخلها العامل إلى المكتبة ووقَّع جدي على الاستلام، وقال لي جدي بأن أدخلها إلى المخزن وأفرزها وأضعها على الأرفف.

بدأت الاستطلاع وتفقد بعض كتب المخزن، فأنا قرأت معظم هذه الكتب منذ أن كنت صغيرًا، بدأت في قراءة الكتب الجديدة التي جاءت لجدي، وبدأت في فرزِها ووضعها في الأرفف بدلًا من جدي، وفي حين أن كنت أتفقد الكتب وجدت كتابًا ساقطًا في المخزن فأمسكت به، لفت انتباهي بسبب اسمه؛ إذ كان يسمَّى "من يقرأ هذا الكتاب سيموت" للكاتب سمير سعيد، لأول مرةٍ أقرأ كتابًا لهذا الكاتب الذي لم أسمع عنه مطلقًا، واسم كتابه غريب، ففتحت أول صفحة لأرى الإهداء:

إهداء

"إلى كل حزينٍ يريد الانتحار، ستحلُّ عليك لعنةٌ وعلى كل مَن حولك، وستحقق لك هذا".

حتى الإهداء بدا غريبًا، بدأت أستكمل القراءة صفحة تلو الأخرى، ثم تعمقت في الكتاب حتى أنهيته دون أن أشعر، ودون فهم شيئًا، ما علاقة الاسم بالذي يوجد داخل الكتاب! الكتاب يحكي عن ثلاث قصص لثلاثة أشخاص.

"القصة الأولى"

عن صياد بسيط يذهب للصيد، ولكن يعود لعائلته دون أسماك، حتى في يوم اصطاد سمكتين، واحدة كبيرة والثانية صغيرة، وعند عودته إلى البيت رأى سيدة عجوزًا يصاحبها ستة أطفال، وطفلٌ منهم يقول لأمه بأنه جائع، فردت الأم بأن ينام حتى تجد طعامًا، فشعر الصياد بهم، وأعطاهم السمكة الكبيرة بعد ما كان سيبيعها ويكتسب بعض المال، ثم رجع إلى البيت وأكل هو وأولاده السمكة الصغيرة، وفي اليوم التالي ذهب للصيد فاصطاد سمكة صغيرة، وعند العودة إلى الشط وجد سرةً من الدنانير فأخذها، وعند المغادرة سمع أحد التجار يصرخ بأن ضاع ماله، وأنه المال الوحيد معه للعودة إلى بلده، فالتفت له الصياد وأعطى له السرة، فسأله التاجر عن مهنته فأخبره بأنه صياد بسيط، ثم سأله التاجر أين يسكن، فوصف له عنوان بيته ونام الصياد ليستيقظ على طرق شديد للباب، ليفتح فوجد شخصين يقفان على الباب، وهما حارسان القصر الملكي وهو مطلوب، سألته زوجته "ماذا فعلت"؟ قال الصياد "لا أعلم"، وأخذوا الصياد إلى القصر إلى أن دخل وهو خائف ويسأل عما فعل، ولا يجيبه أحد! فدخل رجل ذو منصبٍ ينادونه بالأمير، أصاب الصياد الخوف وبقي ينظر للأرض خوفًا من الأمير الذي يقولون عنه ظالمًا، لينادي الأمير على الصياد باسمه، فتفاجأ الصياد بمعرفة الأمير له، فنظر إليه ليجده التاجر الذي أعطاه الدنانير أمس.. قال له

الأمير:

- **جئت بك إلى هنا لأكرمك على أمانتك، وسوف تكون صياد القصر الملكي، وسيتوفر لك جميع أنواع أدوات الصيد الحديثة، وسيعاونك صيادون ستكون أنت رئيسهم.**

فتفاجأ الصياد مما قاله الأمير، ليشكره ويعود إلى البيت، وحكى لزوجته ففرحت فرحًا شديدًا، وبعد مرور أعوام أصبح الصياد شخصًا ذا منصب كبيرٍ وعنده أكثر من محل يبيع فيه الأسماك.

"القصة الثانية"

عن ضابط شرطة كان يحُقِّق العدل ويرى عمله على أكمل وجه، حتى قابله أحد كبار رجال العصابات، فأعطاه رشوة حتى يتركه ويتغاضى عن أعماله، وبعد رفضه مره ثانية رفع رئيس العصابة المبلغ حتى أغوى الضابط ووافق، وأصبح صديقًا للمجرمين وييسر لهم الأعمال، وفي ليلة اختلف مع رئيس العصابة فقتله، ومن ثم قتل رجاله المخلصون الضابطَ انتقامًا لرئيسهم.

"القصة الثالثة"

عن رجل ذهب للمستشفى مع زوجته المريضة، وقال الأطباء إن حالتها حرجة، ويجب إدخالها غرفة العمليات، وبعد دخولها بساعات خرج الطبيب معلنًا وفاة الزوجة، فثار الزوج وبكى حتى استعاد رشده، وأقسم بالانتقام لزوجته من الطبيب، لأنه لم ينقذها، حاول الأطباء شرح الموقف، ولكن لم يستمع لهم، وبعد فترة قتل الطبيب وانتحر، ووجدوا رسالةً في جيبه تقول:

"لو كان أنقذ حب حياتي لكان الجميع حيًّا وسعيدًا، ولكن استحق الموت جزاء ما فعل.. الحياة ليست عادلة".

من سيقراء هذا الكتاب سيموت

سمير سعيد

أنهيت الكتاب.. ما دخل القصص باللعنة! كتاب غريب، حتى اسمه كذلك، تركت الكتاب وفرزت الكتب حتى خرجت بالكتب الجديدة، ووضعتها في الأرفف وسألت جدي عن الكتاب الذي قرأته، قال لي إنه قرأ الكتاب أيضًا، ولم يفهم علاقة هذا باسم الكتاب، وأن الكاتب مجنون ويريد الشهرة باسم الكتاب فقط، ومرَّ اليوم على ذلك، ثُمَّ عدت للبيت ونمت.

الفصل الثالث
"البيت الملعون"

استيقظت بعدها وبدأ يومي المعتاد بالإفطار مع جدي والذهاب إلى المستشفى، ثُمَّ انتهى يومي دون جديد، فذهب إلى البيت واستلقيت على سريري، ولكن تلك الليلة لم تعرف عيناي النوم من شدة التفكير؛ استعدادًا ليوم غد وأنا متردد في الذهاب، ولكن لن أخسر شيئًا، إنه بيت مهجور في النهاية، ولماذا يشعر جدي بهذا الخوف والقلق من بيت عتمان! لقد مات أو ذهب بعيدًا، في كلتا الحالتين رحل، لن أشغل بالي، ولكن ذهابي لهناك كي أحقق لجدي حلمه بالسفر والاعتمار في بيت الله، وأن أساعد عائلتي، إنه أمرٌ يستحق أن أخاطر من أجله.. استمر حالي هكذا في التفكير حتى طلوع النهار، ولم تعرف عيناي النوم، إلى أن بدأت يومي بتناول الطعام مع عائلتي، ليسألني جدي في أثناء انشغال أختي وأمي بتحضير الإفطار:

- ماذا فعل صديقك في الأمر الذي قلته لي؟

- صديقي من؟

- صديقك عمر.

- ماذا؟ نعم، لا أعلم عنه شيئًا.

- حسنًا يا شريف.

بعدها جلست أمي وياسمين لتناول الإفطار، فقلت لهم:

- بالمناسبة سأتأخر اليوم في المستشفى، لا تنتظروني.

أمي:

- وفقك الله يا شريف.

ثُمَّ إنهم يعلمون أني أتأخر في المستشفى أحيانًا، وقد يصل التأخير حتى بزوغ الفجر، أنهيت إفطاري ونزلت وذهبت إلى المستشفى، وكان اليوم عاديًّا إلى أن أتى موعد انتهاء عملي في الساعة التاسعة، بدَّلت ملابسي ثم رن هاتفي، وكان عمر يؤكد على الميعاد، وسأل إذا كنت سآتي أم غيرت رأيي؟ أكدت عليه بقدومي، وأنهيت المكالمة وخرجت بعدها من المستشفى، وذهبت إلى المطعم لأتناول الطعام؛ لكي يعطيني بعضًا من الطاقة، وبعد تناولي الطعام ذهبت بعدها لشراء الكشاف.

نظرت في ساعتي فوجدت الساعة الحادية عشر، ركبت سيارة الأجرة ونزلت أمام الشارع الذي يوجد فيه بيت عتمان، وقبل أن أُكمل الطريق مشيت بعدها إلى أن وصلت إلى البيت الذي يوجد في شارع مهجور من الناس، وكانت الساعة الثانية عشر إلا ربع، وجدت عمر وهشام وصلاح واقفين في انتظاري، ليبدأ عمر في الكلام:

- عندما استيقظت ووجدت رسالتك بأنك وافقت لم أصدق عينيَّ، حتى هشام وصلاح عندما أخبرتهم لم يصدقوا رأيك، سأفهمك الآن ما نحن مقبلين عليه.. البيت عبارة عن طابقين؛ طابق في الأسفل وطابق في الدور الأول، أنت وصلاح ستبحثون في الدور الأرضي، وأنا وهشام سنبحث في الدور الأعلى، وإذا وجدتم شيئًا اتصلوا بنا، وحافظوا على صمتكم على قدراستطاعتكم.

كان باب البيت مغلقًا بالشمع الاحمر، ففتحه هشام ثُمَّ دخلنا.

رائحة تفحم البيت شديدة، يصاحبها رائحة تعفن، كما لو كان الحريق اندلع منذ زمن قريب، وليس منذُ خمسة عشر عامًا! أنرنا الكشافات، ودخلنا لرؤية بيت عتمان من الداخل، لم أتوقع أو أتخيل يومًا أني سأدخل بيت عتمان أو حتى أسترق بعض النظرات إليه من الداخل، ولكن ها أنا هنا داخل البيت! كان وصف البيت عند الدخول إليه عبارة عن سلالم للصعود إلى الطابق العلوي شمال مدخل بوابة البيت، وشقة في وجه بوابة البيت.. وجَّهت الكشاف ناحية الحائط لأرى تفحم الحائط وتفحم باب شقة عتمان، صعد بعدها عمر وهشام إلى الطابق الأول، وأنا وصلاح دخلنا إلى شقة عتمان التي توجد في الدور الأرضي، كانت الشقة عبارة عن أربع غرف مهجورة متباعدين لا تتضح معالمها والرائحة لا تطاق، قُلتُ لصلاح فلننفصل، وكلٌّ واحدٍ منَّا يبحث في غرفة، دخلت الغرفة الأولى وأضأت الغرفة هنا وهناك، كانت فارغة، فخرجت ودخلت الغرفة الثالثة، وكان صلاح يبحث في الغرفة الثانية، دخلت الغرفة وكانت مليئةً بالركام في كل مكان في الغرفة، ثبتُ الكشاف في الأرض ووجهته إلى السقف، وبدأت في البحث في الركام المتواجد والمتفحم، وكأني أنظف الغرفة بما يتواجد بها، حتى أحسست بأنفاس ساخنة خلفي، فنظرت خلفي ببطء فلم أجد شيئًا، لألمح بعدها شخصًا يجري خارج الغرفة، فالتقط الكشاف ثُمَّ خرجت أنظر في كل مكان.. لا شيء! ناديت على صلاح ولم يجبني، فأحسست بالأنفاس الساخنة نفسها خلفي مرةً أخرى، فالتفت لأجد.. أبي!!

أشعر بقشعريرة تسير في جسدي، مَن الذي أراه؟ أبي! وحينها كانت عيناي بدأت بالدموع، أسرع أبي بالجري حتى دخل الغرفة الرابعة، فأسرعت

بالجري خلفه ودخول الغرفة ليختفي! ظللت أنادي كطفل في السادسة من عمره "يا بابا، إلى أين ذهبت؟" ليظهر خلفي، فالتفت له مرة واحدة وأنا أوجه الكشاف في وجهه وأنا أبتسم، فبادلني الابتسامة، ثُمَّ أصبحت عينه بيضاء، وبدأت ملامح وجه تتغير، وإذا بسائل أسود يخرج من فمه بكمية كبيرة، وبصوت زمجرة تخرج منه، ووجه يتحول لكائن بشع الملامح يُشبه الإنسان، ولكن بأنياب طويلة وعينين بيضاء وأذن كبيرة ودون أنف ووجه ضخم، ليتضخم جسده بعدها، وفي تلك اللحظة أحسست بشلل في يدي غريب، ليسقط الكشاف من يدي، ويتوجَّه نحو الباب، ثُمَّ في قدمي ليصل بي الحال لشلل كاملٍ في جسدي، لأجد نفسي أسقط بعدها وأنا ممدد على بطني، وعيناي تنظر إلى الباب، لأجد الكائن يذهب ويقف في ركن الغرفة، وضوء الكشاف موجهًا إليه، ليكتب كلمةً ولكن بلغةٍ غريبة، ولتظهر بعدها عينان تضيء في الظلام مثل أعين القطط خارج الغرفة، وتقترب لدخول الغرفة، وأنا أحاول أن أصرخ حتى يساعدني أحد، ولكن لا أقدر، أنا في حالة شلل تام! وتقترب العين حتى بدأت بدخول الغرفة، ويتضح ملامح العينين ومصدرها؛ كائن أسود مثل الظلام يشبه الكلب، مُشعر الجسم يسير على يديه وقدميه ليلتف حولي، ويذهب إلى الكائن الواقف في ركن الغرفة ليتحدث الكائن الشبيه بالإنسان بلغةٍ غير مفهومة.

بدأ ضوء الكشاف بانخفاض إنارته تدريجيًّا، ليخرج الوحش صاحب الأعين المضيئة بالزمجرة وإخراج أصوات مرعبة، وأنا في شدة الرعب، وعيناي تبكي من الخوف ومن هذه الكائنات، كان جدي على حق، هذا البيت ملعون، أرجو أن ينقذني الله في هذه اللحظة كما ينقذني دائمًا، أريد أن

أصرخ ولكن دون فائدةٍ، لأسمع صوتًا بالخارج، صوت أحد يفتح باب البيت وصوت صعوده إلى السلالم أسمعه، أحاول أن أناديه ليساعدني، صوتي لا يخرج، وهذا الكائن ما زال يتحدث باللغة نفسها، وصوت المسخ ذو الأعين الحمراء بدأ يعوي مثل صوت الذئاب، أشار الكائن بعدها عليَّ ليهجم المسخ عليَّ ويشدني من ملابسي ويعضني من يدي، ولم يكتفِ بذلك؛ بل أشعل الكائن النار حولي وأضرم الحريق، إلى أن سمعت صريخ هشام، وعلى صوت نزولهم على الدرج وهم ينادون عليَّ، وعلى صلاح، ليختفي كلٌّ من الكائن والمسخ، ولكنَّ الحريق مستمرٌ في المكان، حتى بدأ المصباح يعود إلى الإضاءة مثلما كان، وزال الشلل أيضًا، ولكن عضة المسخ تؤلمني ولم تختفِ، لينادي عليَّ عمر:

– يا شريف يا صلاح، يا شريف يا صلاح.

بدأت بعدها أستعيد وعيي والوقوف على قدمي.

صرخت

– ساعدوني، أنا هنا، ساعدوني.

ليأتي عمر بعدها وينقذني من الحريق، ويساندني ونحن نخرج من الشقة وبعدها من البيت، ومن ثم جرينا جميعا حتى خرجنا من شارع بيت عتمان.. لا أصدق أنني خرجت من هذا البيت!

مرة أخرى نشاهد البيت يندلع فيه الحريق من بعيد، أتذكر هذا الدخان الأسود المتصاعد، فهو الدخان الذي رأيته وأنا صغير، ولكن هذه المرة أنا أرى مصدره، وبهذا جلسنا جميعًا على الأرض، ليبدأ هشام بالكلام:

- كنَّا سنموت، إنه بيت ملعون.. بيت ملعون لم أرَ مثل ما رأيت في هذا البيت، لقد رأيت مخلوقاتٍ مرعبةً، ووجدت جدتي رحمها الله تنادي عليَّ، وواقفةً أمامي ليتغير وجهها وأصبح مرعبًا، بدأت بخنقي وكنت سأموت، إلى أن سمعت اقتراب خطوات عمر نحو الغرفة الموجود بها، فاختفت جدتي أو الشيطان الذي ينتحل شكل جدتي و...

بدأ بعدها هشام بالبكاء!

عمر:

- أمَّا أنا فقد كان هناك شخصٌ يجري خلفي فسقطت وفقدت وعيي لأفيق بعدها وأذهب إلى هشام وها نحن هنا، وأنت يا شريف، أنت وصلاح ماذا رأيتم؟

صلاح:

- لقد سمعت شريف ينادي عليَّ من الغرفة الأولى التي كان موجودًا بها، وقفت على بابها وأضأت بالكشاف، لا أحد موجود بها، فارغة، بعدها وجدت شخصًا يضربني على رأسي لأدخل بعدها الغرفة، ثُمَّ وجدت الغرفة القديمة المحترقة ولا يوجد لها بابٌ، حيث أصبحت جديدةً وبها باب مغلقٌ والغرفة مضيئة، ولكن لا يوجد مصدر للضوء، بعدها ركضت نحو الباب وظللت أطرق على شريف وأناديه لكي يساعدني ولكن لا حياة لمن تنادي، وفجأة سمعت خلفي الصوت نفسه الذي كان يناديني، وبدأ الصوت يخشن ويصبح مرعبًا

لي، بدأ صريخي يتعالى ويشتد وطرقي على الباب أكثر دون فائدةٍ لينطفأ الضوء، حتى الكشاف انطفأ معه، وبدأت أشعر بزمجرة خلفي، وإذا بشيء ما يجذبني ويمرُّ من بين قدميَّ وأنا أصارعه وأصرخ، ثم شممت رائحة حريق ما لتأتوا وتنقذوني ويختفي الكائن والباب المغلق.. وأنت يا شريف؟

حكيت لهم ما الذي قابلني ورأيته، ليسأل بعدها صلاح:

- ما هذه الدماء التي على العصا يا عمر؟

- هذا! لا أعرف أن للعفاريت دماء.. عندما خرجنا من الغرفة التي وُجِد بها هشام وجدنا كائنًا مثل الذي خرج لنا يتنكر على هيئة جدك، ويصرخ ويقول "أين شريف، أين شريف" وصوته مرعب، فضربته على رأسه ونزلنا إليكم وها نحن هنا.

صلاح:

- يجب أن نذهب الآن قبل أن يرانا أحدٌ.

ذهبنا جميعًا كل واحدٍ إلى بيته، ولكن عمر تحدث معي وقالي لي سآتي وأبيت عندك هذه الليلة، لأنني قلت لأبي إنني سأنام عندك الليلة.

- هيا يا عمر، لا أعرف كيف سننام هذه الليلة بعد ما رأيناه!

ذهبت بعدها أنا وعمر إلى البيت لأجد أمي تقف أمام بيتنا وتبكي بشدةٍ، وعندما وجدتني صرخت في وهي تبكي قائلة:

- لمَ ذهبت إلى بيت عتمان يا شريف، أنت عمر؟!

فزعت مما قالته، وكيف عرفت ذلك!

- كيف عرفتِ!

- والدتك يا عمر كلمتني وسألتني عنك لأن موبايلك مغلق وأنك تبيت عندنا، قلت لها لا، يمكن أن يكون مع شريف في المستشفى وسيأتون، اتصلت بك كان هاتفك مغلقًا أيضًا، فنزلت لجدك وقلت له، بعدها اتصلت بوالد هشام وصلاح قالوا لي إنهم غير موجودين، واتصل على هواتفهم فوجدها مغلقة، فقالي لي جدك: "أصرُّوا على رأيهم، حتى شريف ذهب خلفهم"، كنت لا أعلم عمَّا يتحدث لأخبره عن قصده ليخبرني أنك ذهبت إلى بيت عتمان لتبحثوا عن الكنز..

بعدها بكت!

- حسنًا، أين جدي؟

- أنا الذي كنت سأسألك أين جدك، جدك بعدها خرج وذهب لبيت عتمان ليبحث عنكم، ألم تقابلوه؟

نظرت إلى عمر، وتذكرت حديث عمر أن ظهر له شخصٌ مثل جدي وضربه بالعصا والدم الذي كان على العصا؛ إذَن من تلقى الضربة كان جدي وليس شبحًا... جدي! البيت.. الحريق، جريت مسرعًا إلى بيت عتمان حيث كان رجال الإطفاء قد وصلوا وأطفوا الحريق، ورجال الإسعاف يمسكون بالحمالة محملة عليها كيس جثة! لا.. لا.. لا.. أنا في صدمة.

صرخت وأسرعت بالعودة وأنا أكرر "جدي، جدي" الجميع ينظر إليَّ، حتى قام وأوقفني رجل الإسعاف، فقُلت له:

- إنه جدي هذا جدي.. أنا دكتور.. أنا دكتور.

ليرد:

- الجثة محترقة كليًّا، الطب الشرعي من سيحدد إذا كانت جثة جدك أو من، ولكن الآن ستُنقَل إلى المشرحة في مستشفى القرية.

ثم أخذوا الجثة وذهب بها الإسعاف، وأنا في صدمة، نظرت إلى عمر وهو ينظر إليَّ بالنظرة نفسها لأصرخ به:

- أنت السبب.. أنت السبب في موت جدي لن أسامحك أبدًا.

وتركته وذهبت وأنا لا أستطيع أن أستوعب، هل خسرت جدي! هل جدي مات بسببي الآن؟ كيف سأسامح نفسي، كيف سأتعايش مع هذا؟ وانهرتُ بالبكاء، لأذهب بعدها إلى البيت، وتعرف أمي ما حدث لجدي، ويبدأ الحزن يعمُّ على بيتنا وعلى القرية كلِّها؛ بسبب حب الناس لجدي، حتى أشرقت الشمس.. ذهبت أنا وزوج خالتي للمشرحة؛ حتى يؤكد لنا أن الجثة كانت لرجل كبيرٍ في السن، وهو جدي، بعدها استخرجنا تصريح الدفن ثُمَّ صلينا عليه وذهبنا للمقابر لدفنه، كل ذلك وأنا صامت.. أنا في صدمة حقيقية، كيف ستكون الحياة دون جدي؟!

الفصل الرابع
"بداية العاصفة"

بعد موت جدي أصبحت أشعر بالوحدة، كان موت جدي أنار بصيرتي لأشياء أخرى؛ إذ كشفت جميع من حولي، فالابتلاء يكشف لك الجميع، فأصدقاء طفولتي عندما لم أعد أبدأ بمكالمتهم تناسوني، أنا كنت دائمًا من أتحدث وأطمئن عليهم وأقف إلى جانبهم في جميع الشدائد، وعندما أصابتني الشدة وكنت أشد الحاجة لأحد يقف بجانبي؛ لم أجدهم.. تمنيت أن يحتضنني أحدٌ ما وأبكي بشدة، أنا أحتاج من يشعر بي، فأنا إنسان كتوم، أنا إنسان لا يعرف وصف الحزن بداخله لأحد على الرغم من ظهوري قويًا أمام الناس، ولكن أنا ضعيفٌ للغاية من الداخل، أكتم دموعي وحزني في قلبي؛ حتى لا يسألني أحدهم ما بك، رغم أنَّ لا أحد يسأل! لأني ليس لدي من يشعر بي، الجميع خذلني، منهم من خذلني بالفعل، ومنهم من خذلني بالقول.

كل ليلةٍ أنام فيها تتعارك الذكريات والأفكار في عقلي، أنا في قمة الانهيار، أريد من يشعر بي فقط، فوقفت وفتحت الراديو وكان يعمل على قناة القرآن الكريم، لأسمع صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد يتلو القرآن الكريم، وتحديدًا آية من قوله تعالي: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ).

لأنهار بالبكاء بعد سماعها، أقسم إني لم أبكِ في حياتي مثلما بكيت في هذه اللحظة، كأنِّي لأوَّل مرةٍ أسمعها، إنها إشارة ورسالة من الله إليَّ يذكرني بأنه يعلم ويشعر بي، أتأسف إليك يا ألله على كل صلاةٍ لم أصلِّها، وعلى كل وقت لم أذكرك فيه، لهتني الحياة وصببت تركيزي مع خلقك، وما لي غير

سؤالك، فاللهم ردني إليك ردًّا جميلًا، تذكرت حينها أني لم يسبق وقرأت أصدق وأجمل من هذا الاقتباس:

"من رحمة الله بعبده أن يبتليه ببلاء لا يستطيع البوح به، ولا يجد من يفهمه في تفاصيله؛ حتى لا يكون في قلبه تعلُّقٌ بأحدٍ غير الله يشكو إليه".

كل يوم منذ حينها وأنا أتقرب إلى الله أكثر فأكثر، مرَّ ثلاثة أشهر على حادثة بيت عتمان ووفاة جدي، تغيرت أشياء كثيرة منذ الحادثة؛ أولها أني أنا وعمر صديق طفولتي لم نعد نتحدث، وأيضًا أرى كل ليلةٍ كوابيسًا؛ إذ أُشاهد جدي يحترق وأحلامًا أخرى، أرى شخصًا ما يمسك بخنجر غريب الشكل ويطعنني، ما زالت هذه الأحلام لا تفارقني، وأستيقظ بعدها وأنا أشعر بإحساس الحلم نفسه، أصبحت شقة جدي ومكتبته مهجورتين، قد علمت عائلتي بأن جدي كتب المكتبة لي ولم يعارضوا ذلك، ولكن أنا ليس لدي القدرة على الذهاب إلى المكتبة وجدي ليس بها، وأيضًا بسبب شعوري المستمر بالذنب بأني من تسببت في موت جدي، أنا بحالة نفسية سيئة للغاية.. أيضًا بعد مرور أسبوع على وفاة جدي بدأت اندلاع الحرائق في القرية بطريقة غير مفهومة، ولا يوجد لها سبب؛ فكل البيوت المحروقة كانت مهجورة، كل أسبوع يندلع حريق في بيت أحد سكان القرية، وبذلك بدأ يظهر عليهم التوتر والرعب من أن يكون بيتهم هو البيت القادم الذي يندلع فيه الحريق، وأنَّ هناك لعنة حلَّت على القرية، ويعتقدون أننا سبب هذه اللعنة بسبب دخولنا خلسة لبيت عتمان، وأن دخولنا البيت هو من تسبَّب بالحرائق، وأن روح عتمان هي من تحرق المنازل انتقامًا لحرق بيته، شهران كاملان من حرق البيوت حتى أصبح الجميع يتجنبني بعدها.

في مساء يوم السبت عندما كنت جالسًا في بيتي سمعت صفير سيارات الشرطة موجودة في القرية، لم أهتم، حينها حتى رن هاتفي، فإذا بهشام يصرخ ويقول لي:

- صلاح قتل عائلته، تعالى إلى بيته لترى ما أراه.

نزل هذا الخبر عليَّ كالصاعقة، لم أفهم كيف قتل عائلته! لأسرع بارتداء ملابسي والنزول والذهاب إلى بيت صلاح، حتى وصلت إلى الشارع، فوجدت الشرطة في كل مكان والإسعاف تنزل بأكياس الجثث من البيت وتضعها في سيارة الإسعاف، وإذا بصلاح يجلس داخل سيارة الشرطة وملابسه ملطخةً بالدماء ويديه مكبلة، لم أصدق هذا المشهد حتى رأيت هشام، فقلت له:

- ماذا حدث وكيف هذا؟

- لا أعلم يا شريف، ما عرفته أنه بعد تنفيذ هذه الجريمة اتصل بالشرطة وأبلغ عن نفسه، وهذا ما حدث.

كان الشارع مليئًا بالناس في كل مكان، يتداولون أنَّ ما فعله صلاح كان بسبب دخول بيت عتمان، وأننا أصبحنا لعنة، كنت أستمع لأقوالهم وأشعر بالحزن، وهل أصابتنا لعنة بيت عتمان؟

مرَّ شهر كاملٌ على سجن صلاح، وبين جلسات محاكمته حُدِّدت أول جلسةٍ لمحاكمته، حيث كنت موجودًا في المحكمة في هذا اليوم لحضور الجلسة.. في النهاية صلاح صديقي، وكان فضولي معرفة سبب قتله لعائلته،

لتبدأ الجلسة بجميع التقاليد.. حتى أتى السؤال المراد من القاضي وهو "ما سبب قتله لعائلته؟"، وكانت إجابته:

– أنا لم أقتل أحدًا.. أنا لم أقتل أحدًا، هم من جعلوني أقتل.

القاضي:

– من هم؟

ليسكت بعدها صلاح:

– أنا لم أقتل أحدًا، أنا بريء.. بريء.

ثُمَّ بكى بعدها صلاح، ليحكم القاضي بعد ذلك بالحكم على صلاح بالإعدام شنقًا، وعند خروج صلاح من قفص الاتهام كان ينظر إليَّ وعينيه تدمع.. نعم كنت أتوقع ذلك، فهذا الحكم مناسب لما ارتكبه صلاح، ولكن من هم الأشخاص الذي قال عليهم إنهم سبب في قتل عائلته؟

بعد هذه الجلسة وقبل موعد إعدام صلاح بأسبوعين، طلب صلاح أن يقابلني أنا وهشام، فوافقت.. فذهبت أنا وهشام إليه زيارة للسجن، وعند جلوسي معه أنا وهشام وقبل التحدث وجدت عمر قادمًا فأصابني الغضب، وكنت سأذهب، ولكن مسك صلاح يدي، وقال لي:

– يجب أن تحضروا أنتم الثلاثة؛ لأن هذا الموضوع مهم جدًّا ويخص براءتي، وأرجوك يا شريف اجلس واستمع.

جلست وأتى عمر وجلس معنا، ليبدأ صلاح الكلام:

- أعرف أن بداخلكم كثير من الأسئلة، وأنا سأجيب عنها دون أن تسألوا، أنا لم أقتل عائلتي، السبب في موتهم هي الأرقام.

هشام:

- أرقام؟

صلاح:

- لا تقاطعوني، سأحكي لكم، تتذكرون عندما ذهبنا إلى بيت عتمان كل ما حدث هناك وحكيته لكم كان حقيقيًّا ما عدا شيئًا واحدًا لم أخبركم به، وهي أنني وجدت شيئًا داخل البيت، وهي المخطوطة.. كنت أعتقد أنها خريطة كنز بسبب شكلها القديم، ولكن كانت فارغة، بعد موضوع جدك كنت حزينًا وخائفًا، وكنت في حالة من الرعب، فوضعت المخطوطة في خزانة ملابسي في غرفتي ونسيتها تمامًا، وقبل ما فعلته في عائلتي بمدة تذكرت المخطوطة، كانت فارغة، حاولت كثيرًا ولكن وأنا ممسكٌ بها أصبت إصبعي فسال الدم من إصبعي ووقع على المخطوطة، فظهرت لي أرقامٌ باللغة العربية وكانت مختلفة قليلًا، واختفت بقعة الدم، لم أفهم ماذا تعني هذه الأرقام، لأحلم كل يوم برجل ممسك بساعة رمليةٍ ويقف في معبد غريب، بعدها اكتشفت أنه يوجد سيدة بدوية تسكن في نهاية القرية وتساعد الأشخاص وتفهم أكثر من لغة وتتكلم بلغة الجن، ولكن نفد وقتي وأنا لا أعلم حتى ما يوم الجريمة، الساعة الرملية كانت قد انتهت، وبعدها ظلَّ يردد كلمة "تحقق النبوءة.. تحقق النبوءة..

تحقق النبوءة؛ الاستحواذ الكامل لرافضي المخطوطة، العقاب الكامل لرافضي المخطوطة" بعد ذلك لم أشعر غير وأنا أرى الدم في يدي وعلى ملابسي والشرطة في كل مكان وتكسر الباب، طلبي منكم أن تذهبوا وتكتشفوا ترجمة الأرقام وتساعدوني على كشف برآءتي، الأرقام هي تفسير المخطوطة، إذا كانت لكنز فهو لكم، وإذا كانت لمساعدتي على خروجي من هنا فساعدوني، فأنا بريء، أقسم لكم.

بعدها ساد الصمت بيننا، لا نعلم ماذا نقول لصلاح، وهل ما يقوله صحيح! سأكتشف ذلك بنفسي وأنقذ صديقي، فقلت له:

- أنا أصدِّقك، وسأساعدك.

ليقول بعدها هشام وعمر:

- ونحن أيضا سنُساعدك لتثبت براءتك، ولكن أين نجد المخطوطة، وأين نجد السيدة البدوية؟

صلاح:

- أنا أخبئها فوق دولابي في غرفتي، عندما تذهبوا لبيتي قفوا عند شباك غرفتي خلف البيت وحركوه يمينًا ويسارًا سيفتح وستستطيعون الدخول، وأمَّا السيدة البدوية فعنوان البيت رقم (ستة عشر) عند نهاية طريق القرية بعد طريق المصنع المهجور، وتُدعى السيدة هويدا..

ليشكرنا بعدها على مساعدتنا ولنخرج من السجن، لأقول لعمر:

- ليس معنى أني سأساعد صلاح وأتعاون معك بأننا سنعود كما قبل، لا.. عند مساعدة صلاح وإثبات براءته لا أريد أن أراكَ مرةً أخرى.

واتفقنا أننا سنذهب للبيت في المساء، وغادرنا وأنا أفكِّر في الأرقام وفي صلاح، وهل المخطوطة ستكون دليل براءة صلاح؟ وكيف؟!

الفصل الخامس
"المخطوطة"

أتى المساء واجتمعنا عند بيت صلاح، كانت شقة صلاح في الدور الأرضي، وقفنا أمام شباك غرفته وفتحناه كما وصف لنا، قال هشام:

– أنا سأدخل لأني أخف وزنًا منكم، ساعدوني على الدخول.

دخل بعدها هشام وانتظرناه، ولم نتحدث أنا وعمر.. ليعود بعدها هشام ممسكا بالمخطوطة وغادرنا المكان بعد إعادة الشباك كما كان، بعدها لم نكن نعرف إلى أين سنذهب.

كنت أفكر أن نذهب إلى سطح منزلي، ولكن أمي ستشعر وأختي ولا أريد ذلك، ليقترح هشام أن نذهب إلى شقة جدي، فنظرت إليه بغضب!

هشام:

– هذا مجرد اقتراح يا شريف لا تغضب مني.

ففكرت لماذا غضبت، ما المانع للذهاب؟ بالعكس إنه المكان المناسب، فقلت له:

– لست غاضبًا، معك الحق إنه المكان المناسب، لنذهب.

غادرنا وذهبنا إلى بيتي، وتحديدًا شقة جدي ففتحتها؛ فأنا أحتفظ بمفاتيح شقته، ولكن كانت هذه المرة الأولى التي أدخلها منذ وفاته، دخلنا وأضأنا الأنوار، ثُمَّ جلسنا لنفتح المخطوطة، وكانت فارغة لا يوجد بها الأرقام التي قال إنها ظهرت له!

عمر:

– لا يوجد أرقام ولا يوجد كتابة هنا، هل خدعنا صلاح؟

هشام:

– ألم تتذكروا أنه قال إنها ظهرت عندما سقطت بعد قطرات الدماء على الصفحة الأولى واختفت وظهرت الأرقام؟ هذا ما علينا فعله، أين المطبخ يا شريف، نريد سكينًا أو شيئًا حادًا.

قلت له:

– سآتيك بها.

فجلبت السكين، فقام هشام بمسكها وجرح إصبعه لتتساقط بعض الدماء على المخطوطة ونحن نشاهد!

هشام:

– ها قد ظهرت الأرقام.

– أتمزح! "كان هذا ردي أنا وعمر؛ فنحن لا نرى شيئًا"

هشام:

– أقسم إني أرى الأرقام، ألا ترونها؟

عمر:

– لا نراها.

أنا:

– نعم، لقد فهمت.. أنت قمت بعهد الدم هذا مع المخطوطة، لذلك أنت تراها ونحن لا، يجب أن نفعل مثلك لكي نراها.

أمسكت السكين وجرحت إصبعي أنا وعمر، وتساقطت بعض الدماء على المخطوطة، لتظهر لنا الأرقام بالفعل وثلاثة رموز غريبة الشكل، إذَن لمْ يكذب صلاح، ولكن ما هذه الرموز وما تفسيرها؟ تعبنا من التفكير والبحث على الإنترنت لمعرفة ترجمة هذه الأرقام التي لا يوجد لها تفسير حتى غلبنا النعاس ونمنا، ولم نستيقظ إلا على هاتفي يرن وهي أمي، رددت عليها.

- أين أنت يا شريف؟
- في شقة جدي، كنت نائمًا منذ عودتي أمس.
- حسنًا اصعد لتتناول الإفطار.
- حسنًا، سأصعد.

أيقظت هشام وعمر لكي يغادرا، واتفقنا على أن نترك المخطوطة في شقة جدي فهي أنسب مكان، وأن يبحث كل منا على ترجمة لها، فإن لم نجد حتى غد سوف نعود ونجتمع مرة أخرى ونذهب إلى السيدة البدوية في عصر يوم غد لمعرفة ترجمة المخطوطة، وبالفعل غادر هشام وعمر وصعدت وتناول الإفطار ونزلت وذهبت إلى عملي وأنا أفكر في الأرقام حتى وأنا في العمل، إلى نهاية اليوم، اتصلت بهشام لأرى ما إذا قام بإيجاد شيئًا لينفي، وكذلك عمر، لنتفق على التجمع غدًا عند بيتي والذهاب إلى السيدة البدوية هويدا..

لأذهب إلى البيت واستلقي على سريري وأنام.. لأحلم برجل يقف من بعيد لا يظهر غير يده ممسكة بالساعة الرملية ويقلبها لتتساقط حبات الرمل

وليبدأ الوقت، فاستيقظت مفزوعًا على أذان الفجر.. يحدث معنا الآن كما كان يحدث مع صلاح، الوقت ينفد منا! توضأت وصليت الفجر لأنزل بعدها للمستشفى لأخذ إجازة بقية اليوم، بعدها ذهبت إلى البيت وجاء عمر وهشام وأخذنا المخطوطة وذهبنا إلى الطريق الرئيسي وركبنا سيارة أجرة لتأخذنا على العنوان المطلوب للبيت رقم (ستة عشر) بيت السيدة العجوز هويدا، طرقنا الباب أكثر من مرة ليفتح الباب، ولكن أنا في ذهول، فمن فتح الباب هي شهد صديقة أختي ياسمين!! لتتفاجأ بنا هي الأخرى، وتقول لي:

- شريف، كيف جئت إلى هنا وكيف عرفت بيتي؟

قلت لها:

- أهذا بيت السيدة هويدا؟!

- نعم، السيدة هويدا تكون جدتي، فماذا تريدون منها وكيف عرفت بها؟

- لقد جئت لها بخصوص أمر مهم أرجو أن تساعدنا به.

- أي موضوع؟ جدتي لم تعد تعمل الآن كما كانت تفعل.

عمر:

- لا، أرجوكِ نريد أن تساعدنا في موضوع هام، إن لم تفعل ستكون نهايتنا ونهاية عائلاتنا، أرجوكِ.

– أرجوكِ يا شهد أن تقولي لها أن تساعدنا، نريد معرفة شيء بسيط فقط.

شهد:

– حسنًا، تفضلوا بالدخول وقولوا لها ماذا تريدون، ولكن انتظروا هنا في صالة الضيوف.

انتظرنا حتى خرجت وقالت:

– إنها ترفض وتقول لم تعد تعمل كما قلت لكم.

كان باب غرفتها مفتوحًا عندما خرجت شهد، ليقول هشام:

– سنموت هكذا، إنها نهايتنا!

فقال عمر لشهد:

– يا شهد، ادخلي إليها وقولي لها إننا نريد معرفة ترجمة مخطوطة الأرقام.

لنجد العجوز هويدا تخرج من غرفتها عند سماعها كلام عمر، ولتقول لشهد:

– ادخلي غرفتك، وأنتم تعالوا خلفي.

ودخلت للغرفة ودخلنا خلفها، لتجلس ونجلس نحن أيضًا على الأرض.

العجوز هويدا:

– من أين لكم بهذه المخطوطة؟

حكينا أن صديقًا لنا وجدها ولم يترجم الأرقام فقتل عائلته.

– وأين وجدها؟

هشام:

– آآآآآ.. وجدها في مكتب جده.

العجوز:

– أنتم تكذبون، لأن هذه المخطوطة تخص عتمان.

أنا:

– نعم هذا صحيح، ولكن كيف عرفتِ؟

العجوز:

– عرفت لأني زوجة عتمان.

صُدمنا بعد سماعنا أنها زوجة عتمان.

– لا تفزعوا، لا أحد يعلم أني زوجته.

عمر:

– إذَن أيمكن قص علينا حكايتك معه وقصة هذه المخطوطة؟

– لقد تزوجني في السر، كنت أسكن أنا وابنتي في البيت الذي كان أمامه وكان معجبًا بي، لكن لم أكن أحبه، تقدم لي ورفضت بسبب ما يفعله من سحر فسحر أمي وأصبحت مريضة، ثُمَّ أتى لي وقال لي "إن

لم توافقي على زواجي بك سوف تموت أمك، وإن وافقتي سوف تتعافى وتعود كما كانت" فوافقت ولكن تزوجني سرًّا حتى لا يعرف أحد أنه متزوج، وكان هذا شرطي أيضًا، وبعد ذلك علمني السحر الذي يفعله وتسخير الجن ولغتهم، حتى ولدت ابنتي سعاد غضب غضبًا شديدًا؛ لأنه كان يريد أن يُرزق بولد لكي يعلمه ويورث له ما يفعله؛ فطردني أنا وأمي وجئنا إلى هنا، توفيت أمي بعدها بعام وربَّيت ابنتي سعاد، وكنت أعمل دجالة مثله؛ ولكن كنت أساعد الناس الذي يأذيهم عتمان وأفك السحر، حتى كبرت سعاد وتزوجت وأنجبت شهد، وبعدها بسنوات من ولادة شهد سمعت خبر الحريق في بيته وأنهم لم يجدو جثته، ومن حينها لم أسمع عنه ولم أعد أعمل أيضًا.

أنا:

- وما يخص المخطوطة؟

- المخطوطة لم أكن أعلم عنها شيئًا، لأن عتمان لم يحكِ لي عنها، ولكنِّي كنت أراها معه معظم الوقت، وعندما وجدتها في أيديكم تأكدت الآن أن عتمان مات، لأنه لم يتركها، حتى عندما كان ينام كان يضعها أسفل الوسادة على الرغم من أنها فارغة، كان عتمان يكتب دائمًا أرقامًا في جميع أنحاء البيت، لم أعرف ماذا تعني هذه الأحرف حتى عندما كان يغادر البيت أبحث في كُتب كان يمتلكها عتمان ومذكراته التي كان يكتبها لوريثه الذي كان ينتظره مني، اكتشفت أن هذه الأحرف هي اللغة الـ (غيراهيقية)، إشارة لقبيلة كانت توجد في

مدينة بابل في عهد سيدنا سليمان عليه السلام سُمِّيت بذلك؛ نظرًا لاسم قائد القبيلة، إذ كان قليل منهم يستخدام هذه اللغة كرسائل مشفرة حتى لا يستطيع أعداؤهم معرفة ما تحتويه، ونسبة كبيرة من النصوص الغيراهيقية نصوص سرية وشعائر تسخير، بدأ أشخاص في القرية بتعلم السحر بعد نزول الملكين هاروت وماروت في مدينة (بابل)، فأدخلوا اللغة الغيراهيقية واستخدموها في السحر، كانوا يكتبون اللغة الغيراهيقية بقلم البوص والحبر، وكانت الغيراهيقية تُكتب على البردي بعود رفيع من الغاب مدبب السن يُغمس في حبر أسود أو أحمر في بداية الفقرات وفي الحسابات وفي كتابة علامات الترقيم أو عند كتابة أسماء المخلوقات الشريرة من عشائر الجن، وكُتبت الغيراهيقية في سطور عمودية، ثُمَّ كتبت بعد ذلك بالتدريج في سطور أفقية من اليمين لليسار، وانتشرت اللغة في مدينة بابل بالكامل وأصبحت أقوى اللغات المشفرة استخدامًا في السحر، وبعد مرور أكثر من مئات الأعوام على سقوط الدولة البابلية، فقدت اللغة الغيراهيقية قوتها واندسرت اللغة تمامًا، وأصبحت اللغة الغيراهيقية هي كتابة وأرقام لا يستخدمها غير قليل من السَحَرة فقط، ليخرج ساحرًا يُدعى "شمعون" في مدينة بابل؛ إذ تعلَّم اللغة وأخرج للمدينة مخطوطات لم يرَ أحد مثلها بسبب كتابتها باللغة الغيراهيقية، وتحدى الجميع أن من يقدر على حل إحدى هذه المخطوطات في غضون أسبوع سيصبح أغنى أغنياء بابل والعالم؛ ليطمع الجميع ويشترونها منه، ولكن لا يعرف أحد ما ترجمتها، لأن اللغة اندسرت تمامًا،

وظلَّت سلسلة احتيال شمعون مستمرة في المدينة، حتى ترجم أحد الأشخاص المخطوطة واكتشف أنها لا تعني شيئًا مما قاله شمعون، فعرف أهل المدينة وثاروا عليه وأحرقوا بيته وهو في داخله ومات.. بعدها تعلمت زوجته السحر بالاستعانة بأقوى ملوك الجن، ملك القبائل العشر "أنفنائيل" فسخَّرته وساعدها على عمل ثلاث مخطوطات بعهد الدم وباللغة الغيراهيقية، ولكن من لا يستطيع حلها تنزل عليه اللعنة، لعنة أنفنائيل، وأصبح أنفنائيل راصد المخطوطات الثلاث ووضعتها في المدينة مع طريقة القيام بمعاهدة الدم، لتستمر سلسلة الموت والانتقام في المدينة حتى ماتت زوجة شمعون، وحاول كثير حرقها، ولكن لم يستطيعوا، وتنقلت المخطوطات بين الأشخاص حول العالم عبر الزمان، حتى أتت لعتمان ثُمَّ لكم، واللغة عبارة عن أرقام مقلوبة، وعبارة عن تسعة وعشرين رقمًا من رقم واحد وحتى رقم ثمان وعشرين، وهم عدد الأحرف الأبجدية للغة العربية، الصفر يدل على الهمزة والواحد يدل على (الألف) وهكذا، إلى نهاية الرقم ثمانٍ وعشرين الذي يدل على حرف (الياء)، هذه هي ترجمة الأحرف.

الآن أنتم تعلمون كل شيء، اذهبوا بهذه المخطوطة بعيدًا عني ولا تعودوا مرة أخرى إلى هنا، ولا يخبر أحدكم شهد عما حكيت لكم أو أن جدها يكون عتمان أنا أحذركم... قولوا لها إني لم أستطع مساعدتكم بمعرفة ما يوجد بالمخطوطة.

خرجنا من الغرفة لنجد شهد تنتظرنا بشدة لتسألني:

– لماذا جئت لجدتي؟! وهل ياسمين تعرف أنك هنا؟!

قلت لها:

– كنا نحسب أننا وجدنا خريطة للكنز وأن جدتك تستطيع أن تساعدنا، ولكن لم تفعل، وأمَّا ياسمين لا تعرف، وأرجوك لا تقولي لها إني جئت هنا أو أيًّا مما حصل.

قالت لي:

– لا تخف، ولكن لا تقل لها أنت أيضًا أن جدتي كانت تعمل دجالة.

– لا لن أخبرها، ولكن جدتك سيدة طيبة، وأنتِ أيضًا يا شهد.

– خذ هذه الورقة.

– ما هذه الورقة.

– افتحها عندما تكون متفرغًا.

لنبستم لبعضنا البعض وأنا قلبي يكاد يخرج من مكانه وأنا أنظر إلى عينيها من شدة النبض، حتى قطع عمر علينا اللحظة، وقال لي:

– هيا لنذهب.

لأودع شهد وأغادر بعدها أنا وعمر وهشام، عرفنا الآن ترجمة المخطوطة، ما علينا فعله هو الذهاب وترجمتها ومعرفة ما تُخبئه لنا المخطوطة.

الفصل السادس

"المهمات الثلاث"

بعد ما غادرنا ذهبنا إلى شقة جدي لنترجم المخطوطة بعد معرفة حلها، جلسنا وجلبنا الورق والقلم لنترجم، وكانت الأرقام كالآتي، لنبدأ في:

٢٣١٢٢٤ ١١٢٢٦١ ٢٤٢٥ ١٨٢٣٢٨

١٨٢٣٢٨ ٢٤٧١٦٢٧١٦ ١٢٣٢٤٢٣٢٢

١٢٣١٨٢٣٢٤ ١٢٥٢٠٢٥١٠٢٨٢٣ ١٢٣١٠١١٤٨

٢٢٥١٢٦٨٣٢١٢٤٣ ٢١٨٨٢٤١ ١٢٥٢٢

٧١٨٢٤١٢٣٢٤٢٣٢٢ ١٢٣٢٤١١٤٢٦٣٢٤

١١٠٧٣٢٤ ١٩١ ١٢٥٢٠١٠١٠٢٧٢٣

٢٣٢٥٢٠٢٨٩ ٢٠١٨٢٣٢٨٢٢٢٤ ١٢٣٣٦١٠١٠

١٩١ ٢٤٢٦٢٤١٣ ١٢٣٤٢٣١٣

٢١٢٤٣٢٤٢٣٢٥٢٠٢٨٩٢٦١

٢٧ ٣٣٢٤٢٥٢٧ ٢٠٢٣٢٢٢٤٣٦٢١٢٨٢١٢٤١

٢٨٦٢٣ ٢٠١٢٢٧٢٠ ١٢٢٨١٠٢٠١٥ ٢٤٢٥

٢٣١٨٢٥٢ ٢٧١٩١٥٢ ١٨٢٣٢٨٣

١٢٣١٨١٣١٠ ١٢٣٢١٢١٠٢٣ ٢٤٢٣٢٢

١٢٥٢٠٢٥١٠٢٨٢٣

١٢٣١٢٣٢ ١٢٣٢٣٢٦٢٤٢

٢١١٦١٦ ٢٣٧٢٤١٢٢ ٢١٢٣٢٧٢ ٧٢٤١٢٢

١٦٢٨١٠

٢٨٢٧٢٤ ١٢٣٢٤٨٢

وكانت ترجمت الأرقام كالآتي:

السلام على من استحوذ على مخطوطة الملك الراصد أنفنائيل، عليك العلم أنك بعد ما آمنت بمعاهده الدم فأنت الآن خادم للملك أنفنائيل، وإذا أردت أن تتحرر فعليكم بتنفيذ المهمات الثلاث مع بعضكم، وإذا أنجزتم تنفيذها فسوف نحقق كل ما تتمنون، ومن سيرفض فسوف يحلّ عليه غضب ملك القبائل العشر أنفنائيل ولعنته.

المهمة الأولى:

"خمسة قلوب لخمس قطط أحياء"

المدة: يوم

الموعد: منتصف الليل حتى بزوغ فجر اليوم الثاني.

كيف ذلك؟ هل سنقتل خمسة قطط، ليس ذلك بل سنشرحهم ونستخرج قلبهم.

ليس أمامنا حل آخر غير فعل ما تأمره المخطوطة.

هشام:

- كيف سنفعل ذلك، ومن أين سنأتي بخمس قطط؟

عمر:

- سنأخذهم من الشارع ولكن هذه ليست المشكلة، بل المشكلة في كيف ستأتي لنا الجرأة بقتل القطط

أنا:

- الآن لقد عرفنا مهمتنا، كل واحد منا سيأتي بالقطط، أنا سأجلب قطتين وكل منكم يأتي بالباقي وسنجتمع غدًا عند منتصف الليل هنا وسننجز المهمة.

لنغادر ولأصعد لغرفتي وأنام، لأحلم بالرجل نفسه ممسكًا بالساعة الرملية وحبات الرمل تنفد، استيقظت على صلاة الفجر كما العادة، أدَّيت بالصلاة وبعدها تناولت الإفطار مع عائلتي، وذهبت إلى عملي، وبعد انتهاء العمل ذهبت إلى محل للحيوانات الأليفة، واشتريت قطتين بالغتين وأخذتهم وذهبت إلى البيت، ثُمَّ أخذت قطتين من الشارع دون لفت الأنظار لأدخل شقة جدي وأضعهم فيها، وأصعد لشقتنا لتبديل ملابسي وتناول العشاء مع أمي وياسمين، حتى دخلت إلى غرفتي وتظاهرت بالنوم حتى دق منتصف الليل، فخرجت من غرفتي، وتأكدت بعدها من نوم أمي وأختي حتى فتحت الباب ونزلت، وفتحت باب البيت لهشام وعمر اللذين كانا ينتظراني ممسكين بالقطط، ودخلنا بعدها شقة جدي ولم نعلم كيف نبدأ، حتى قلت لهم نضع القطط في بانيو الحمام حتى لا تتسخ الشقة بالدماء، فعلنا ذلك ولكن من سيفعلها ويقتل القطط!

جميعًا نجلس في الحمام وننظر لبعضنا بعضًا، حتى تجرأ عمر وأمسك السكين وذبح القطة الأولى ونحن نسمع صوتها وهي تُذبح، كان المشهد مرعبًا بمعنى الكلمة، ففصل عمر الرأس عن جسمها.. أنا وهشام كنا في حالة صدمة ونحن نشاهد عمر يفعل ذلك دون تردد، والصدمة أنه قتل

جميع القطط وفصل رأسهم عن جسمهم؛ ليخرج بعدها من الحمام ويقول لنا:

- دوركم الآن في تشريحها، لقد أنجزت الصعب في المهمة.

ليخرج وملابسه تمتلئ بالدماء.. وبعد خروجه أمسكت المشرط الخاص بي، لأن التشريح كان جزءًا من دراستي كطبيب، ثُمَّ بدأت بتشريح القطة إلى أن استخرجت القلب منها، وفعل هشام مثلي، حتى انتهينا من أخذ الخمسة قلوب ووضعها في كيس، لنخرج وملابسنا مملوءة بالدم، لنرى عمر جالسًا على الأريكة، فجلسنا على الأريكة نحن أيضًا في صمت ونحن ننظر لبعضنا البعض، ليمسك هشام المخطوطة ويقول لنا:

- انظروا، لقد ظهرت أرقام أخرى، إنها المهمة الثانية.

نظرنا للمخطوطة حيث ظهرت أرقام جديدة، وكانت المهمة الثانية، فأمسكنا الورقة والقلم، وترجمناها لتكون:

"مبارك لكم تنفيذ المهمة السابقة".

المهمة الثانية:

"هيكل عظام لمُتوفى"

عندما تمشون بين الأموات ستظهر لكم العلامة

المدة: يومان تبدأ الآن.

الموعد: منتصف الليل حتى بزوغ فجر اليوم الثالث.

قرأنا المهمة، أهذا ما سنؤول إليه! أن نسرق جثة متوفى!

السير بين الأموات يعني السير في المقابر حتى نجد العلامة؛ أي القبر الذي سننبشه، هل سنصبح نابشي القبور! كل هذا لماذا؟ لإنقاذ صلاح؟ سنتطور ونغضب الله، وإذا لم ننفذ سنموت أو سنقتل عائلتنا بأيدينا.

عمر:

- لن أنفذها، لن أنبش القبور وأسرق عظام ميت، ليس من أجل صلاح، وليس من أجل أحد.

هشام:

- معك الحق يا عمر، أنا أيضًا لن أفعلها، وأنت يا شريف ما رأيك؟

أنا:

- لا أعلم، لا أعلم ماذا! إن لم نفعلها سنموت، ألم تشاهدا ماذا حدث لصلاح؟

عمر:

- حدث ما حدث، لن أفعلها.

ليخرج عمر وملابسه مملوءة بالدماء، ويتركنا أنا وهشام.

هشام:

- عمر معه الحق، لن أفعلها أنا أيضًا.

وغادر هشام وعمر وتركاني وحدي، وأنا لا أعرف ماذا أفعل، فنظفت الحمام من الدماء وخبأت قلوب القطط في الثلاجة، ثُمَّ صعدت دون أن أصدر صوتًا، وأبدلت ملابسي وخبأتها، وبعدها قمت بالاستحمام والنوم، ولكن هذه المرة لم أحلم برجل الساعة الرملية، فهذه الليلة لم أحلم حتى استيقظت في ميعادي، وكنت أتناول الإفطار أنا وأمي، فلم أجد ياسمين، فقلت لأمي:

- أين ياسمين؟

- إنها مريضة يا بني، حتى أنا أشعر ببعض التعب؛ سأدخل لأنام وأنت تناول فطورك.

ودخلت بعدها أمي لتنام وأنا مستغرب، فأنا لم أرَها في هذه الحالة!

بعدها ذهبت إلى العمل ولم أتحدث مع عمر ولا هشام، لينتهي عملي وأعود للبيت، فوجدت أمي وياسمين نائمتين ليس كالعادة التي عندما أعود أجدهم ينتظرانني لتناول العشاء، فطرقت باب غرفة أمي فسمحت لي بالدخول، وجدتها تستلقي على السرير وبجانبها أختي وتتحدث ببطء،

ولكن لم تكن حرارتها مرتفعة ولا منخفضة، كانت طبيعية هي وأختي، فسألتها:

- بماذا تشعرين؟
- لا أشعر بشيء، ولكن لا أقدر على تحريك جسمي، وكذلك أختك.
- إنه إرهاق يا أمي، عليكما أن تستريحا أنتِ وأختي، وفي الصباح ستكونون بخير، وأنا بجانبكما لو أردتم شيئًا.

أغلقت النور وجلست على الأريكة، أحسست بصوت يأتي من ركن الغرفة، صوت رمال، أنا أعرف هذا الصوت جيدًا، فأضأت كشاف الهاتف ووجهته إلى ركن الغرفة، وإذ بي أرى رجل الساعة الرملية وكان يمسك بالساعة وعلى وشك الانتهاء ويقف في ركن الغرفة ووجهه مظلم على الرغم من الضوء الموجه له، وأشار إلى أمي وأختي وإلى الساعة الرملية؛ لأستيقظ بعدها مفزوعًا على صلاة الفجر، أمسكت هاتفي وأضأته وذهبت ناحية ركن الغرفة، فوجدت بعض حبات الرمل، فعرفت أنه ليس حلمًا، وأنه كان هنا بالفعل، ماذا يعني بالإشارة! يعني أن مرض أمي وأختي مرتبط بالمهمة؟! هل يعني ذلك أني سأخسر أمي وأختي إن لم أنفذ المهمة؟

وجدت هاتفي يرن؛ إنه عمر، رددت فوجدته يبكي

عمر:

- شريف، سأفعل المهمة سأفعلها، أمي وأبي مريضان جدًّا، وقد حلمت برجل الساعة الرملية، مرض عائلتي بسبب المهمة يجب تنفيذها، يجب تنفيذها.
- حسنًا، اليوم عند منتصف الليل سنجتمع عند مدخل مقابر القرية سنذهب، ولكن ماذا عن هشام؟
- هشام اتصل بي وحلم بالحلم نفسه وعائلته مريضة وسيذهب معنا، سأخبره ما قلته لي، سلام.
- سلام.

هل تبتزنا المخطوطة! إن لم ننفذ تموت عائلتنا؟ اتصلت بهم واعتذرت عن المجيء، وجالست أمي وأختي طيلة اليوم حتى جاء منتصف الليل، غادرت البيت وتوجهت إلى المقابر الخاصة بالقرية، وجدت هشام ينتظرنا، وجاء عمر بعدها.

انتهى اليوم، واجتمعنا، وذهبنا للمقابر عند منتصف الليل.. دخلنا ومشينا بالمقابر، حتى اتفقنا على أن نتفرق ونجد القبر المنشود، وأن نحترس من أن يرانا أحد.

تفرقنا، فذهب كل منا في اتجاه، أضئت كشاف الهاتف وأنا أبحث وأنظر يمينًا ويسارًا بين القبور علّي أن أرى علامة أو أسمع شيئًا ما يدلني على القبر وأنا أستمر في البحث، وفي أثناء البحث رن هاتفي؛ كان هشام.

- لقد وجدت القبر المنشود وأنا أقف أمامه الآن، ولكن لن يعجبك الأمر.

- لماذا لن يعجبني ما به وأين وجدته؟

- لأن... لأنه يكون قبر جدك.

قبر جدي! هل المهمة نبش قبر جدي؟ جريت مسرعًا حتى وصلت عند قبر جدي وجدت هشام وعمر في انتظاري وينظران إلى القبر، كان مفتوحًا!

هشام:

- أعلم أنك مصدوم ولا تستوعب، ولكن كنت أسير حتى وجدت رجلًا ظهر أمامي فجأة، ثُمَّ جرى حتى توقف عند مقبرة جدك ودخل فيها، لم أكن أعلم أنها مقبرة جدك من الظلام، حتى وجهت الكشاف على القبر ورأيت اسمه عليها، واتصلت على عمر وعليك، وها نحن هنا.

- مستحيل، لن أنبش قبر جدي، يعني أن أكون سبب موته والآن عندما مات أنبش قبره! لا يمكنني فعل ذلك، لا أستطيع.

هشام:

- يجب فعلها يا شريف، أنسيت؟! يجب على ثلاثتنا أن ينفذ المهمة حتى تتعافى عائلتنا من مرضها وننقذهم، وأمامنا ساعتان على بزوغ الفجر، يجب أن نسرع.

صحيح عائلتنا! أنا ليس لدي حل آخر.

وجهنا الضوء ناحية داخل القبر، ودخل هشام ثم بعدها أنا، ووقف عمر في الخارج ليضيء لنا، الرائحة لا تطاق؛ رائحة تعفن الجثث، رائحة الموت في كل مكان في القبر، حملنا الكفن بالعظام، ولكن في أثناء حملنا للكفن اختفى الضوء بسقوط عمر في خارج المقبرة، فأخرجت هاتفي وشغلت الكشاف ووجهته ناحية المدخل، لأجد شخصًا يقف ويمسك في يديه عصا، إنه حارس المقابر "عم حسان".

عم حسان:

- اخرجوا.. اخرج يا لص يا نابش القبور، كيف تأتي لكم الجرأة على نفس الميتين، ألا تخافون الله؟ الويل لكم، أنا سأسجنكم.. اخرجوا واتركوا جثة الرجل الطيب.

خرجنا وتركنا جثة جدي، وجدنا عمر ساقطًا فاقدًا الوعي، حاول هشام الهروب من عم حسان؛ إذ كان يضربه بالعصا فسقط هو الآخر، ولكن لم يغم عليه.

أمسك بهاتفه واتصل بالشرطة، في هذه اللحظة كنت أفكر هل هذه نهايتنا؟ ستموت عائلتنا من المرض، يجب أن أتصرف، وحين كان يتصل هجمت عليه وسقط على الأرض، فأمسكت به وأبعدت الهاتف عنه، كان يحاول ضربي بالعصا، ولكنِّي أحكمت مسكي به وخنقته وهو يلتوي بين يدي ويحاول أن يبتعد عني، ولكن دون فائدة، حتى تباطأت حركة مقاومته تدريجيًّا إلى أن فقد وعيه، وكان هشام يشاهد ما أفعله، لأتركه وأذهب لأطمئن على عمر الذي بدأ في استعادة وعيه.. دخلنا للقبر وأخذنا الجثة،

وعند الخروج ذهب هشام إلى عم حسان الساقط على الأرض ليجس نبضه، ليقول لي:

- لقد قتلته، لا يوجد نبض، إنه لا يتنفس لقد مات، لقد قتلته يا شريف.

ذهبت لأجس نبض حسان بما أني طبيب، ووجدته دون نبض، لقد مات، لقد قتلت شخصًا بريئًا كان همه حراسة الموتى من نابشي القبور!

ليقول عمر:

- هيا لنذهب قبل أن يرانا أحد، يجب أن نذهب لا وقت للندم هنا.

جمعنا العظام وجرينا بأسرع ما فينا حتى رجعنا إلى شقة جدي، ووضعنا الجثة في إحدى غرف الشقة؛ ثم اتصل عمر وهشام بعائلتهم للاطمئنان عليهم، وصعدت أنا إلى أمي وأختي، كانتا نائمتين، وكان يظهر عليهما بأنهما بحالة جيدة؛ فاطمئن قلبي وخرجت بهدوء، ونزلت مرة أخرى لشقة جدي، وعند دخولي الشقة سقطت وانهرت في البكاء، لقد قتلت شخصًا منذ قليل وأصبحت نابش قبور، وليس أي قبر بل قبر جدي! ما الذي وصلت إليه؟

واساني عمر وهشام قائلين بأني فعلت ذلك ليس عن قصد؛ بل لإنقاذ عائلتي وعائلتنا، ولم أقصد أن أقتله، حتى هدأت وتمالكت أعصابي وصمت.

المهمة الثالثة

جاء عمر بالمخطوطة ولتظهر المهمة الثالثة، ترجمها عمر لتصبح:

"تهانيا يا خادمي المخطوطة، فأصبحتم الآن على خطوة واحدةٍ لتحقيق هدفكم".

المهمة الثالثة:

عندما ترى الفاسد أمامك يدمر من حولك ليس لديه ضمير ولا قلب رحيم بالناس ويُهدد الجميع دون خوف، حينها عليك بقتله وأخذ دماءه.. لتكون هذه نهاية مهماتكم، ولنسمح لكم بمقابلة ما سيحقق لكم أمنيتكم.

المدة: ثلاثة أيام تبدأ من بزوغ الفجر.

الموعد: منتصف الليل وحتى بزوغ فجر اليوم الرابع.

كان هشام يقرأ بصوت عالٍ:

- هل معنى ذلك أننا سنقتل شخصًا ما، ومن سيكون هذا الشخص يا ترى؟

أنا:

- هل أصبحنا قاتلين، هل سنقتل شخصًا آخر؟

عمر:

- نقتل! نحن لم نقتل أحدًا حتى الآن، بل أنت من قتلت.

أنا:

- هل الأمر هكذا الآن؟

هشام:

- عمر لا يقصد يا شريف، كل ما في الأمر أنَّ المهمة صعبة، ولكن يجب فعلها من أجل عائلتنا، الآن الموضوع ليس في أيدينا، ويجب البحث عن هذا الرجل الفاسد وقتله، ولكن السؤال الآن، كيف سنفعلها، ومن هو ذلك الرجل؟ علينا جميعًا أن نركز مع جميع من نعرفهم ومن نراهم، ونعرف من هو المنشود.

لينتهي حديثنا بعلامات استفهام، ثم خروج عمر وهشام بصعودي لغرفتي ونومي.

اليوم الأول:

في الصباح التالي كانت أمي تُيقظني للإفطار والذهاب للعمل، سعدت برويئتها بخير وبأتم عافية، تناولت الإفطار ونزلت للذهاب إلى العمل، فوجدت جيراني ويتوسطهم رجل وسيدة لم أرَهم، ومن هيئتهم وملابسهم يدل على أنهم ليسوا من القرية، لم أهتم وغادرت، ولكن قبل ذهابي إلى العمل ذهبت إلى المقابر حتى أرى ماذا حدث، وهل شاهدنا أحد! كانت المقابر ممتلئة بالشرطة، توجهت إلى قبر جدي، ولكن منعني العساكر المتواجدون، لأخبرهم أن هذا قبر جدي الذي هناك، ليأتي لي الضابط ويتحدث إليَّ ويسمح لي بالدخول.

الضابط:

هل هذا قبر جدك؟

نعم، ولماذا تسألني؟

الضابط:

- لأن جثمان جدك سُرق، وغير ذلك الذي سرق الجثمان عندما اكتشف حارس المقابر حسان السرقة قتله.

تماديت في الدور وأظهرت أني حزين ومتعصب، وقلت له:

- هل تعرف من هؤلاء؟

الضابط:

- حاليا لا، ولكن سنعرفهم وسنبلغك عندما نعيد الجثمان إن شاء الله.

- إن شاء الله.

تركته بعدها، وعند مغادرتي المقابر سمعت أحد سكان القرية يتحدثون أن من سرقوا الجثة ألقوها في النيل حتى تختفي لعنة حرق البيوت الذي سببها الرجل، سمعت الحديث ثم غادرت وذهبت إلى المستشفى، وبعد انتهاء يومي طلب مدير المستشفى الدكتور محمود مقابلتي في مكتبه، فذهبت، فقال لي إني أصبحت مشوشًا وغريبًا الفترة السابقة.

د/ محمود:

– أصبحت غريبًا يا شريف ولم تعد بالكفاءة التي لطالما عرفتك بها، ماذا بك؟

– لا شيء، كما قلت، أنا مشوش بسبب موت جدي، وأيضًا لقد سُرِق جثمانه.

د/ محمود:

– كل ذلك لا يهمني، ما يهمني هو أن تعمل بكفاءة أنت منقذ للأرواح، وإذا كنت غير قادر فخذ إجازة أو استقِل، مفهوم؟

– مفهوم.

في تلك اللحظة دخل سعيد، رجل بسيط في عامه الأربعين، يعمل عامل نظافة في المستشفى.. دخل وأنا جالس مع الدكتور محمود.

سعيد:

– حضرتك طلبتني يا دكتور!

د/ محمود:

– نعم، أنت مرفود يا سعيد، بدِّل ملابسك وغادر، ولا أريد رؤية وجهك هنا ثانية.

حاول سعيد الكلام ولكن منعه دكتور محمود، وقال له:

– لن أتحدث في أي شيء، كل منا يعلم جزاء ما يفعل.

خرج سعيد وهو يبكي فتحدثت لماذا فعل ذلك؛ ليقول لي إنه أمر لا يخصني وأن أغادر مكتبه، فخرجت وأنا منزعج من طريقته كان دائمًا صارمًا، إنه إنسان حقيرٌ يستحق الموت لأنتبه لما قلته، هل قلت إنه يستحق الموت! هل هو الرجل المنشود كما قالت المخطوطة صاحب المواصفات؟ تذكرت مواقف كثيرةً كان حقيرًا مع الجميع؛ لاتصل بعدها بهشام وعمر وأخبرهم بما أفكر فيه، وقلت لهم سأفكر كيف سنفعلها، لأغادر المستشفى وأعود إلى بيتي، فإذا برجل وسيدة جالسين داخل سيارة أمام بيتي، إنهم الرجل والسيدة نفسهما اللذين رأيتهم في الصباح، وعند دخولي البيت نادوني باسمي لأقف لهم، فخرجوا من سيارتهم وتحدثوا إليَّ، ليبدأ الرجل بالتعريف عن نفسه:

- أنا سمير القاضي وهذه سعاد زوجتي، من المؤكد أنك سمعت عني.
- لا صراحة، ولكن كيف عرفت اسمي؟
- حسنًا، أنت الآن تعرف اسمي، سأخبرك ولكن لاحقًا، تتذكرني؟
- في الحقيقة لا، هل تذكرني بنفسك؟
- أتذكر الرجل الذي جاء لجدك وصرخ جدك فيه؟
- الآن أتذكر، غادر من هنا لن أبيع لك أي كتاب.
- كتاب؟ أنا لا أريد أي كتب، سأخبرك ماذا أريد، نحن مجموعة أشخاص نشتري منازل القرية ونهدمها لاستخدام الأرض في مشاريع خاصة، وكنا نريد شراء بيتك، ونعلم أن القرية ملعونة بسبب جدك

الذي دخل بيت المدعي عتمان واحترق في البيت، ونعلم ما يقوله أهل القرية عنك، بيعك البيت لنا والاستفادة بالمال في شراء بيت جديد في مكان أفضل ومغادرتك البلد، وقبل وفاة جدك ذهبت إليه لشراء البيت وليس كما أخبرك بأني أريد شراء كتب.

- لا، أنا لن أبيع بيتي، لأنه إرث لجدي ولا أفكر حتى في يوم من الأيام ببيعه، ولكن شغلني أمر ما، أنت تعرف كل ذلك وتعرف اللعنة ولا تخاف أن تصيبك وعلى الرغم من ذلك تريد شراء المنزل!
- إن الأمر لا دخل لك به، نريد شراء منزلك فقط.
- لا، انتهى الأمر.
- تفضل، هذا كارتي إذا غيرت رأيك.

ركب السيارة هو وزوجته وغادرا، ثُمَّ صعدت إلى غرفتي وبدلت ملابسي وتناولت العَشاء، وتحدثت مع عمر وهشام عن ماذا سأفعل غدًا، ولكن لم نصل لفكرة.. حتى نمت.

اليوم الثاني:

تشرق الشمس ويبدأ يوم جديد، لأستيقظ وأنا أعرف جيدًا ماذا سأفعل اليوم، ذهبت إلى المستشفى واشتريت كوبين من القهوة.

ذهبت إلى مكتب دكتور محمود وجلست معه في مكتبه، وتأسفت منه على ما فعلته في الفترة السابقة، وأني سأصبح أفضل ليتمنى لي أن أفعل ذلك، ثُمَّ

غادرت، وعند خروجي من مكتبه قابلت صديقي الدكتور عبد الجواد وتحدثنا معًا، وبعد محادثة بسيطة:

عبد الجواد:

- أعرفت بالأمر؟ لقد قاموا برفد عم سعيد.

- لقد عرفت، إنه رجل بسيط مسكين، لماذا يرفدوه.. دكتور محمود رجل متسلط حقير، يرفد رجلًا لا حول له ولا قوة بهذه الطريقة!

عبد الجواد:

- مَن مسكين؟ المسكين هذا في غيابك الفترة السابقة كان يسرق أدوية ممنوعة ويبيعها، ولم يرد دكتور محمود سجنه بسبب ظروفه وأولاده واكتفى بطرده.

سمعت هذا الكلام من عبد الجواد فجريت مسرعًا لمكتب دكتور محمود، ففتحت الباب لأجده جالسًا ويتحدث على الهاتف، ليغلق الهاتف ويوبخني على دخول دون طرق الباب، لأسأله:

- هل شربت من القهوة؟

قال:

- لا، لماذا تسأل؟

- لأن القهوة.. لأن قهوتك بها كثيرًا من السكر، لأني بدلت كوبي مع كوبك.

- ألم أقل لك إنك أصبحت مشوشًا، ألا تعلم أني مريض بالسكر وإذا شربتها الآن لكنت مرضت! خذها ولا تكرر دخولك مرة أخرى بهذه الطريقة، أتفهم؟

- أجل أفهم.

خرجت وحمدت الله أني وصلت في الوقت المناسب وأنه لم يشربها، فوضعتها في سلة القمامة، دكتور محمود ليس الرجل المنشود، لأنه رحيم القلب؛ على الرغم من طرده لسعيد، ولكن رحيم لأنه لم يسجنه، اتصلت بعدها بهشام وعمر وأخبرتهم على ما فعلت، لأتفاجأ بأني فعلت ذلك دون خوف أو ندم، وهذا ما أستغربه في أني أصبحت غليظ القلب، أنا أتغير دون أن أشعر! قلت لهم "إنهم يجب أن يجدوا رجلًا يتمتع بصفات المخطوطة نفسها"، أغلقت الهاتف بعدها وركَّزت في عملي حتى انتهى اليوم وغادرت المستشفى، وعند عودتي لبيتي وجدت سمير القاضي ينتظر في سيارته أمام منزلي، ليخرج من سيارته ويتحدث إليَّ:

- أمس لقد عذرتك نظرًا إلى أني أعرض عليك وأعطيتك خيارًا بأن توافق أو ترفض، ولكن يجب أن أخبرك أنه يجب عليك الموافقة وإلا ستندم، وستخرج من بيتك هذا أيضًا في كلتا الحالتين؛ الحالة الأولى تبيع لنا البيت بكل هدوء أنت وعائلتك وتأخذ مالكم وترحلوا، أو الحالة الثانية بأن تبقوا وسوف تخرجون من البيت بعد مدة ودون استفادة بالمال، عليكم الرحيل.. إذا أردت أن تعد هذا تهديدًا فعده كذلك، وكل أهل القرية سيبيعون بيوتهم لي، ومن يرفض سيندم

مهما كان صغيرًا أو كبيرًا أو عجوزًا، هذه الأرض تخصني وسأفعل أي شيء لأخذها، هل تفهم؟

ثُمَّ تركني وذهب بسيارته، صعدت للمنزل ودخلت غرفتي وجلست على سريري وأنا أفكر ماذا لو رفضت كيف سيخرجنا أنا وعائلتي من هنا؟ هل هذا الرجل قادر على فعل ذلك! ولكن لفت انتباهي ما هو أهم من ذلك، مواصفات المخطوطة تنطبق على سمير، وتذكَّرت كل كلمة قالها، في الوقت نفسه اتصلت بهشام وعمر، وكانا نائمين، فتحدثت إليهم وحكيت عن سمير، وهم أيضًا تحدث الرجل معهم لشراء بيتهم، وأنه رجل خبيث وتنطبق عليه مواصفات المخطوطة.. اتفقت معهم على التجمع غدًا في الساعة الواحدة ظهرًا في شقة جدي للتخطيط وكيفية التنفيذ، وأنهيت المكالمة، ونمت، لأستيقظ لتناول الإفطار، حتى جاءت الساعة الواحدة، وجاء عمر وهشام ودخلنا للشقة.

أنا:

– هل لديكم أي أفكار؟

عمر:

– ما رأيكم في وضع السم له؟

أنا:

– كيف!

عمر:

– لا أعلم لتفكرا معي، لن أفكر بمفردي.

أنا:

– وأنت يا هشام، هل لديك أفكار؟

هشام:

– أنا بعد مكالمتك أمس سهرت لأفكر وجاءتني فكرة، ستتصل أنت به وتقول له أن يقابلك الساعة الحادية عشر مساء اليوم بعد انتهاء عملك عند الطريق العام، في هذا الوقت لن يكون موجود به أحد، وعندما يأتي لك سترش المنوم عليه حتى ينام، وستنقله للخلف وتأخذ السيارة، وتتوجه نحو المصنع المهجور الموجود في الصحراء خارج القرية، وسنحضر أنا وعمر هناك وسنقتله، ولكن كيف سنقتله؟ لا أعرف! يمكننا وضع السم له، وحين يموت نأخذ بعض الدماء منه بأي طريقة.. لماذا تنظرون إليَّ هكذا؟

كنا ننظر أنا وعمر إلى هشام ونحن نصدق أنه فكر بكل ذلك.. لنوافق على خطته، لأتصل بعدها بسمير واتفقت معه على أن يقابلني في الحادية عشر مساء اليوم.

– ولكن تعالى وحدك حتى نتفق على سعر شراء بيتنا.

ولم يعارض، بل كان سعيدًا وقالي لي:

– كنت متأكدًا من رجاحة عقلك وأنك ستتصل بي.

وأنهيت المكالمة معه وكل منا ذهب إلى بيته حتى قبل الميعاد بساعة، ذهبت أنا إلى الطريق العام وانتظرت سمير، وذهب هشام وعمر إلى المصنع وانتظراني هناك.

وأنا أقف منتظرًا جاء سمير في سيارته، ركبت معه السيارة فقال:

– نتحدث هنا أو نذهب إلى مكان آخر؟

فأخرجت البخاخة المنومة ورششتها في وجهه حتى فقد الوعي، وعندما كنت أنقله للخلف كان معه مسدسًا يضعه في ظهره، فأخذت المسدس ووضعته في بنطالي، وتحركت بالسيارة حتى ذهبت إلى المصنع، ووجدت هشام وعمر ينتظراني كما كان الاتفاق، ساعداني على حمل سمير ونقله لداخل المصنع المهجور المظلم، ولكن أضاء هشام المصباح الكبير الذي جاء به ودخلنا المصنع ووضعنا سمير على الأرض، كان المصنع من الداخل به كثيرًا من قطع الزجاج المتساقط على الأرض والأخشاب، ولا يوجد سقفًا للمصنع، فكان المصنع متهالكًا، وقفنا وتحدثنا أنا وعمر وهشام على كيفية قتله ومن سيقتله!

أنا:

– أنا لن أقتل أحدًا مرة أخرى، أحدكم يتولى هذا الأمر.

هشام:

– أنا لن أقدر على فعلها.

عمر:

– ولا أنا، فلنفعلها نحن الثلاثة.

في تلك اللحظة فاق سمير ونحن منشغلون بالتفكير ولا نشعر، فأمسك هشام للخلف ووضع قطعة من الزجاج على عنقه.

– ارجعوا للخلف، أتريدون قتلي؟ حسنًا.

ودون أي مقدمات نحر عنق هشام أمام أعيننا.

عمر يصرخ:

– هشاااااااام!

ليسقط بعدها هشام وهو ينظر إلينا والدماء تخرج من عنقه، فأخرج سمير مسدسًا صغيرًا كان يوجد في ساقه، وحين كان يطلق الرصاصة عليَّ أبعدني عمر فأُدخلت الرصاصة فيه بدلًا مني، أخرجت المسدس وأطلقت النار على سمير حتى أطلقت جميع الرصاص الموجود في الذخيرة وأنا أبكي؛ لأرمي المسدس وأذهب لرؤية هشام الذي كان قد فارق الحياة دون مقدمات.. وأنا أبكي بشدة وأصرخ على فراق صديقنا هشام، حتى سمعنا هاتفًا يرن، وكان هاتف سمير، لننتبه له.

عمر:

– يجب أن نخرج ونذهب من هنا، يجب أخذ دماء سمير والهروب قبل مجيء الشرطة، سيبلغ أحدهم عن طلقات النار التي سمعوها،

يجب الهروب والمخطوطة ستنقذنا، يجب أن نذهب وإلا سيُقبض علينا وسنكون مثل صلاح.

- هل سنترك هشام هنا؟

- يجب فعلها لقد مات، هيا، وأنا مصاب، يجب أن نذهب.

بعدها أخذت دماء سمير القاضي وملأت الزجاجة.

الفصل السابع
"الحقيقة المظلمة"

حملت عمر والدماء تتساقط من كتفه بعد إصابة الرصاصة ووضعته في السيارة وغادرت بالسيارة.

طوال الطريق وأنا في صدمة، فأنا شاهدت صديق طفولتي وعمري يُقتل أمامي، والآخر أصابته رصاصة، لماذا أقحمنا أنفسنا في كل هذا؟ هل كان من أجل إنقاذ صديقنا صلاح؟! فصلاح في السجن الآن، وهشام لقد قُتل، يا ليتني لم أتدخل في كل ذلك من البداية! فضولي هو من أوصلني لذلك، فضولي في التدخل فيما لا يعنيني.. بعدها كنت ذاهبًا إلى البيت وشقة جدي، ولكن شعرت بالخوف من أن يشاهدنا أحد، فأخذت عمر والسيارة وذهبت إلى المكان الوحيد المغلق منذ موت جدي؛ مكتبة جدي.. ركنت سيارة عمر وأخرجت مفتاح مكتبة جدي الذي أحتفظ به، أخرجته من جيبي وفتحت المكتبة، ونقلت عمر لداخلها ووضعته على الكنبة الصغيرة الموجودة في المخزن، وأبطأت خروج الدم منه، ثم أخذت السيارة وارتديت الجاكيت الخاص بعمر الموجود في السيارة، وذهبت إلى المستشفى ودخلت لمخزن المستشفى، وسرقت بعض الأدوات؛ مثل المشارط والمحاليل وأدوات خياطة الجرح.

وخرجت بعدها وتوجهت إلى المكتبة، عقمت يدي والأدوات، ثُمَّ أخرجت الرصاصة من كتف عمر، وكان فاقدًا للوعي، بعد استخراج الرصاصة وضعت له المحاليل وتركته ليرتاح، وجلست على المكتب الخاص بجدي، الذكريات تلاحقني والشعور بالذنب، وفي لحظة وأنا أشعر بالندم ضربت المكتب بيدي حتى سقط شيئًا من أسفل المكتب، وإذا بشنطة سقطت من جانب المكتب، أضئت نور الأباجورة ووضعت الشنطة

على المكتب وفتحتها، لأجد الكثير من الأوراق فيها، بدأت في إخراجها، وكانت عبارة عن جرائد قديمة وورقة في بدايتها مكتوب اسمي؛ قرأتها، وكانت كالآتي:

"شريف،

أنت كنت دائمًا شابًا جيدًا، وأقسم إني أحبُّك أكثر من أولادي؛ فأنت أوَّل أحفادي وأكثرهم طيبة، وبداخلك الكثير من الخير، وأتمنى أن تجد هذه الورقة وتقرأها بعد موتي، أنت تعرف أن أباك تُوفِّي وأنت صغير، وسبب وفاته كان أزمة قلبية، ولكن الحقيقة هي أن والدك قُتل، تبدأ القصة قبل أن تولد بأشهر قليلة، أعلم أنك لا تتذكر جدتك أم أبيك أو عمتك، وأعلم أيضًا أننا لم نذكرها لك أو لم نكن نتحدث نهائيًا عنهم، وذلك بسبب ما حدث وهو:

كنا نعيش في حياة هادئة حتى في يوم جاء والدك عندي وكان غاضبًا، فسألته ماذا بك؟ أجابني أن عمتك تريد الزواج من عتمان، وكان عمرها حينها ثلاثة وعشرين عامًا.. حينها أراد أن أتحدث معها وأن أسألها كيف تعرفت عليه، ولماذا تريد الزواج منه؟ لأنها لا تجب على أحد نهائيًّا، فذهبت معه إلى بيت جدتك يا شريف، وهناك وجدت عمتك تجلس في غرفتها لا تريد الخروج حتى يوافقوا على زواجها منه، فطرقت الباب حتى سَمِعَتْ صوتي ففتحت الباب، وعندما دخلت وجدت عينيها محمرتين ووجها شاحب، كان واضح عليها أنها لم تنم منذ أيام، بدأت التحدث معها فسألتها لماذا

تريد الزواج من عتمان وهو أكبر منها في العمر، وأنها تعلم أنه يمارس السحر والدجل؟ فنظرت لي نظرة لم أنسها وقالت: "الحب ليس بالسن، لقد أحسست مع عتمان بالحب، وسوف أتزوجه عاجلًا أو آجلًا، ولكن هو قال لي إنه يجب على أهلي أن يوافقوا، لأن هذه هي الأصول وإن لم يفعلوا سنتزوج رغمًا عن الجميع، اقنع أخي أن يوافق حتى لا أنفذ ما يدور في عقلي"، فسألتها على ما يدور في عقلها أجابتني: "سترى بنفسك يا حسني"، لأول مرة كانت تناديني باسمي، وأخبرتني بعدها أن عتمان يرسل مباركته لنا ويخبرنا أن أمك فاطمة حامل، وبعدها تمددت على السرير ونامت، خرجت بعدها وأخبرت والدك بما قالته لي فقال إنه على جثته أن يوافق أو أن تتزوج منه، وبعد يومين اكتشفنا أن فاطمة حامل بأختك فكانت صدمة لي، لأني تذكرت ما قالته لي عمتك أميرة، وبعد أيام من حمل أمك ذهبت عمتك لأبيك، وقالت له إن لم يوافق على زواجها من عتمان ستموت ابنتك، فصفعها أبوك، وفي اليوم نفسه مرضت أمك مرضًا شديدًا، فذهبنا للمستشفى وأخبرونا أن كل نتائج أمك طبيعية، ولكن هناك شيء بها لا نعرفه، فوجدت أباك يخبرني ما قالته أميرة له، فذهب مسرعًا وهو يقول "سأقتل عتمان حتى ننتهي من كل هذا العبث"، فذهبت خلفه خوفًا من أن يرتكب شيئًا يندم عليه، وتركنا جدتك مع أمك، فركب سيارة أجرة ثُمَّ ركبت في السيارة التي خلفه وتتبعته حتى ذهب إلى بيت عمتك وصعد ودخل الشقة فدخلت خلفه، فوجدته يتحدث لعمتك ويخبرها أنها لن تتزوج عتمان وسيقتله، ثُمَّ ذهب للمطبخ وأخذ السكين، وفي حين كان يخرج من الباب وجدنا الباب أُغلق بقوة دون أن يلمسه أحد، فنظرنا خلفنا

فوجدنا عمتك اختفت عيناها وأصبح شعرها يطير وتتحدث بصوت مرعب "إذا أردت أن تقتل عتمان فعليك قتلي أولًا، لا أحد سيقتل حبيبي ومن يفكر بذلك سأقتله"، فرد عليها أبوك معاندًا إياها "سأقتله ولن تتزوجيه"، فوجدناها تصرخ صرخةً تخرج من الجحيم وليس من فمها فوقعنا، ومن قوة صريخها كان الزجاج ينكسر فأُظلمت الشقة، كان القمر يضيء أجزاءً من الشقة، فوجدت عمتك تقترب من أبيك وهي تمسك السكين وطعنته، ليست طعنة أو اثنتين، بل أكثر من ذلك حتى بدأ الدم يخرج من فمه وأنا أنظر إليها في صدمة وخوف، وبعد أن توقفت عن طعنه نظرت إليَّ والدماء تملأ ملابسها وابتسمت وضوء القمر على وجهها، كان المشهد مرعبًا لا يُصدَّق، وبدأت بالاقتراب مني وأنا أسرع بالهروب، فأمسكت قدمي وغرزت السكين فيها، حتى بدأت بقراءة آيات من القرآن الكريم فبدأت تتراجع وتصرخ بشدة، وأنا لا أتوقف حتى فقدت الوعي، أسرعت بالتوجه إلى والدك، ولكن كان قد فارق الحياة، وبعدها بالمختصر دُفن أبوك ودخلت عمتك مستشفى الأمراض العقلية، وبعد مدة هربت منها ولم يعرف أحد مكانها منذ ذلك الحين، وبعد كل هذا بمدة توفيت جدتك من الصدمة والحزن على أولادها، والآن أنت تعرف سبب سيري بالعصا منذ ذلك الحين، كل هذه الأمور حصلت في العام نفسه، بعدها وُلدت أختك، كانت فترة عصيبة علينا، خفت عليكم من أن يأذيكم عتمان، لذلك ابتعدنا عنه، حتى لم أذهب ولم أذكر اسمه خوفًا عليك وعلى أختك وأمك، ولذلك كنت أخبرك منذ الصغر ألا تقترب من بيت عتمان، ولكن عندما ذكرت لي اليوم أن صديقك عمر عرض عليك أن تذهب لبيته

شعرت أنه يجب علي أن أكتب هذه الرسالة لك، وأتمنى أن تجدها يومًا ما بعد موتي وأن تغفر لي ما خبأته عليك، ولكن كل ذلك كان لمصلحتك، أرجو أن تسامحني و تغفر لي يا شريف..

توقيع جدك: حسني".

أنهيت القراءة وأنا في صدمة وأبكي بشدة، عتمان والمخطوطات كانا سببًا في تدمير عائلتي بداية من أبي وعمتي وجدتي، وفي النهاية جدي وصديقي هشام وصلاح.

أخذتُ أقلِّب الأوراق حتى وجدت في الأوراق رسائل متبادلة بين جدي وشخص يُدعى سمير سعيد.. هذا الاسم أين قرأته؟ تذكرت، أنه اسم الكاتب صاحب كتاب "من سيقرأ هذا الكتاب سيموت" بدأت في القراءة:

"مِن: حسني أحمد عبد القوي

إلى: الكتاب سمير سعيد

تحية طيبة وبعد،

الأستاذ سمير سعيد، أتواصل معك اليوم حتى تخبرني ما علاقة اسم كتابك بالقصص الموجودة في داخلها، لأني لا أعلم أين اللعنة التي ستؤدي إلى الموت، فأنا قد قرأته ولم يحدث لي شيئًا، هل تفعل ذلك من أجل الدعايا والشهرة؟ أرجوك أن تخبرني، فأنا عجوز كبير، فضوله يقتله لكي يعرف ماذا كان تفكيرك عندما فكَّرت في كتابة هذا الكتاب واختيار هذا الاسم!

توقيع: حسني أحمد عبد القوي".

بعدها وجدت رسالةً أخرى مُرسَلة من الكاتب، وكانت كالآتي:

"من: سمير سعيد

إلى: حسني أحمد عبد القوي

تحية طيبة وبعد،

شكرًا لتواصلك معي، كل ما في الأمر أن اللعنة هي على حسب نوعية الشخص؛ مثلا أنت لعنتك أنك قلت في رسالتك الأخيرة أنك تريد أن تعرف علاقة الاسم بالقصص الموجودة وأن الفضول سيقتلك، هذه هي لعنتك، الفضول الذي قد يؤدي إلى موتك أو موت من حولك، أمَّا ما مكتوب بداخل القصص هما ثلاث قصص، الأولى: هي عن الصياد والذي نستفاده منها أن الصياد صبر ولم يجره الفضول، بل كان شخصًا طيب القلب على الرغم من ظروفه، وكان رحيمًا بالناس حتى في أشد أوقات الاحتياج، عندما أعطى السمكة الكبيرة للسيدة العجوز وحرمها على نفسه، لأنه شعر بالآخرين ولم يهتم بنفسه، لذلك كافأه الله على ما فعل، وأنه اجتاز الاختبار الطويل بنجاح، فكسب الدنيا والآخرة.

أما القصة الثانية: عن الضابط الشريف ولكن أغراه العصابات بالمال حتى اتبعها ونسي ضميره، وأدى طمعه إلى قتله في النهاية، نستفاد من هذه القصة أن الضابط هو نحن وإغراءات العصابات بالمال هو الشيطان الذي يغوينا حتى نتبعه وننسى الله، ويرمي بنا إلى الجحيم.

أمَّا عن القصة الثالثة: عن الرجل الذي لم يؤمن بقضاء الله بوفاة زوجته وحمَّل الطبيب ذنب موتها، على الرغم من أنه ليس له ذنب، فأغواه الشيطان ووسوس له حتى أعماه غضبه فقتل الطبيب وانتحر، فخسر دنيته وآخرته؛ لذلك سمَّيت كتابي "من سيقرأ هذا الكتاب سيموت" لأن كل من اتبع إغراء الشيطان وإغواء نفسه وضلته الحياة الدنيا؛ ستحل عليه لعنة بما سوَّلت له نفسه، أنت من أي نوع من هؤلاء؟

الإجابة عندك.

توقيع: سمير سعيد".

أنهيت قراءة كل الرسائل الموجودة في الحقيبة، فوجدت بعدها ورقة في جيبي، فتذكَّرت أنها ورقة شهد، فقمت بفتحها فوجدتها رسالة من كتابات الكاتبة "روميساء مدحت".

"أبدو لك باردة، بادرة وغير مهتمة، لكن حبك في قلبي يجعلني أنهض من جديد، داخلي يرتجف حبًّا، أنا الوحيدة التي تحب بهذا الشكل، أنا الوحيدة التي لا ترغب في إظهار حبها لكي لا تبدو ضعيفة؛ بينما حبك داخلي يضعف قلبي يا نبض قلبي، يا أول من سكن قلبي.

يبدو للجميع أن صعب من يسكن قلبي، لا أحد سكن قلبي قبلك ولا بعدك، صعب من يجبرك بالافتراق عما تحب، ذلك يجعل قلبك ينتزع من مكانه يا سبحان الخالق من وضع روحًا داخل روحك، فتصير روحًا واحدة صعب الانتزاع منها، قلبي محطم، تفكيري مشتت.. اسمك يجعلني أرتجف، رؤيتك تجعلني أشعر بالراحة وأعود للحياة من جديد.

حبيبي، أنت سر سعادتي، الافتراق عنك ولو مده قصيرة يمر على قلبي مئات السنين، يا من جعلك نصيب قلبي قادرًا أن يجعلك نصيبي في الدنيا.

صعب أن أتظاهر أنك لا شيء، لا شيء وأنت كل شيء! هذا الحب عذاب وتحطيم قلوب؟ أم سعادة للقلوب؟ قلبي لا يشعر بالسعادة دونك، ولا ترسم الضحكة على وجهي دونك.. أخبرني: من أخبرك أن قلبي يستطيع تجاوزك أو نسيانك؟ من أوهمك بذلك؟

يا ليت الجميع يعرفون ما بداخلي لك.

أدرك حين ينتهي حبك بقلبي أن رحلتي مع الحياة انتهت".

كل هذه المدة وشهد تبادلني نفس شعوري وأنا لم ألحظ! حين ينتهي كل هذا سوف أذهب وأصارحها بكل ما في داخلي، وأتقدم لها وأتزوجها.

غلبني النعاس ونمت، لأستيقظ في الصباح أجد صديقي عمر يحاول النهوض وبدأ في استعادة وعيه، اشتريت الطعام لنا حتى بدأ في استعادة عافيته قليلًا، وفي الليل أخذته وذهبنا بالسيارة إلى بيت جدي، لأخرج من السيارة وأدخلت عمر شقة جدي، وصعدت لشقة أمي وطرقت الباب، ففتحته لي:

- أين كنت يا شريف من الأمس، وما هذه الدماء التي على ملابسك؟

لقد نسيت أمر الدماء تمامًا بسبب ما جرى

- لماذا لم تخبريني بموضوع أبي وعمتي؟ كان يجب عليكِ أن تقولي لي حتى أعرف ما حدث لهما، تقولون إنكم خائفون عليَّ، ولكن أنتم خائفون على أنفسكم.

ياسمين:

- ماذا تقصد يا شريف؟ ماذا يقول شريف يا أمي؟ اشرحا لي.

- اجعلي أمك تخبرك.

وغادرت بعدها ونزلت بسرعة وفتحت المخطوطة، لتظهر لنا الأرقام أنا وعمر؛ فتُرجمَت لتكون كالآتي:

"تهانيا يا خدام المخطوطة، بعد السماع والطاعة والتنفيذ حان الوقت لذكر اسمه".

وظهرت رسمة غريبة؛ كانت عبارة عن دائرة كبيرة حمراء وبها نجمة سداسية، وكان يوجد أرقام وأحرف بداخلها، ويوجد دائرة صغيرة في منتصف النجمة، وشخص يقف على الدائرة، وعند كل تقاطع للنجمة يوجد قلب صغير، إنها قلوب القطط، وفي داخل الدائرة الصغيرة كان هناك هيكل لإنسان، فهمنا أنا وعمر الرسالة.

دخلنا إلى الغرفة وحركنا أثاث الغرفة، حتى أصبحت فارغة، ورسمنا الدائرة والنجمة بدماء سمير، ووضعنا قلوب القطط على كل تقاطع للنجمة، ووضعنا العظام في الدائرة الصغيرة، وكتبنا الأحرف في كل مكان في الدائرة، وكانت الحروف والأرقام معناها واحد، وهو "أنفنائيل" بعدها وقفنا داخل الدائرة، ولكن لم يحدث شيئًا، حاولنا أكثر من مرة ولكن دون فائدة، حتى أمسكت المخطوطة ونظرت إليها لأقرأ بعد السماع والطاعة والتنفيذ، حان وقت ذكر اسمه، أنا فهمت، ناديت عمر ووقفنا داخل الدائرة لأنطق بعدها "أنفنائيل" لتنطفئ أنوار الشقة وتبدأ الدائرة بالإضاءة، حتى نجد أنفسنا نسقط بداخل الدائرة ونفقد الوعي بعدها.

٢٧ ٢٨ ا ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦
ا
ن
١
ل
٢٠٣
٢٥
ف
ي
٢٨
٢٠
٢٥
ء
١
ن

الفصل الثامن
"أنفنائيل"

بدأت أستعيد وعيي، وجدت عمر بجانبي فاقد الوعي، فأيقظته إلى أن بدأ يستعيد الوعي هو الآخر والوقوف، لنجد أنفسنا في مكان مظلم لا يوجد غير شعلة تنير المكان، وبعدها بدأت شعلات من النار في الاشتعال في كل مكان، ليَتَبَين أننا في مكان شبيه بالمعابد القديمة، وليظهر كرسي كبير مثل عرش الملوك، وهناك أحد يجلس عليه، وبجانبه المخلوق الغريب الذي رأيته سابقًا عندما كنت موجودًا في بيت عتمان، بجانبه المسخ الأسود المشعر، لتستمر الشعلات في الاشتعال، ويظهر المكان كاملًا، وتظهر ملامح الشخص الجالس على العرش، مستحيل! إنه.. إنه... إنها.. وتظهر سيدة عجوز ترتدي رداءً قديمًا، ليركع لها المسخ وتجلس على العرش وتتكلم:

- كيف حالك يا شريف، كيف حالك ياعمر؟ أعلم أنكما تستغربان ممَّا ترونه الآن، ولكن هكذا هي الحياة، صدمات، الصدمات تأتي واحدة تلو الأخرى.

هل ما تراه عيناي حقيقة؟! ونتبادل أنا وعمر النظرات مع بعضنا، إنها... لننطق أنا وعمر اسمها في وقت واحد "السيدة هويدا"، كيف ذلك وكيف جاءت إلى هنا؟

عمر:

- كيف جئت إلى هنا، وماذا تفعلين؟

بعدها سمعنا صوت خطوات شخص آخر قادم، ولكن هذه المرة كانت الصدمة لي، ظهر الشخص فقامت "سيرانا" بالنهوض عن العرش

والركوع هي والمسخ، وجلس الشخص على العرش، وجلست السيدة هويدا على عرش أصغر ظهر من العدم.. وكان هذا الشخص هو جدي!

جلس جدي على العرش وأشار لـ "سيرانا" بالتحدث..

– تهانيا يا خدامي، لقد اجتزتم المهمات المنسوبة و..

قطع عمر كلامها:

– أين نحن وماذا تريدون منا؟

ليصمت بعدها ويتحدث المسخ بصوت مرعب، بصوت يشعرك بالخوف صوت قوي على أذن بشر بسمعه.

المسخ:

– لم يأمركم ملكي بالتحدث، وإياكم وأن تقاطعوا ملكتي!

السيدة هويدا:

– أصبحتم من المنشودين في إنجاز مهمات مخطوطات الملك أنفنائيل، تهانيا يا خدام المخطوطة وخدام الملك أنفنائيل.. أنتم ساذجون، أعلم أن في رأسكم أسئلة كثيرة وسوف أجاوب عليها، الآن أسمح لكم بالتحدث.

عمر:

– من أنتم وأين نحن؟

أنا:

– جدي كيف ذلك، هل أنت أنفنائيل؟ هل أنت الملك وكنت تعيش معنا؟!

السيدة هويدا:

– سأعرفكم بنفسي في البداية، مع أنني حكيت لكم قصتي.

عمر:

– هل أنتِ زوجة...

السيدة هويدا:

– نعم، أنا "سيرانا" زوجة شمعون وزوجة عتمان أيضًا، سألخص لكم ما لا يستوعبه عقلكم، عندما قُتل زوجي شمعون صنعت المخطوطات استعانة بأنفنائيل، وقمنا بمعاهدة ونشرناها بين الناس، كل هذا صحيح، ولكن أنا لم أمت، وتزوجني الملك أنفنائيل وأصبحت خالدة، وهذه كانت المعاهدة، وأصبحت أعيش في عالم الجن، وبعد مرور الزمان ومئات السنين عدت للأرض مرة أخرى، وتزوجت عتمان بسبب الشبه الكبير بينه وبين شمعون، وكان يستعمل السحر ولكن لم يُجده، فعلمته بعضًا من السحر الأسود القديم حتى أجاده، وعندما ولدت سعاد طردني وطلقني، ولكنَّي لم أنتقم منه إلا عندما أراد الملك أنفنائيل زوجي الخروج والعيش بين البشر، وكان يحتاج إلى جسد أحدهم، فأرسلت المخطوطة إلى عتمان عن طريق أحد خدامي، ولكن لم يعرف حلَّها، حتى اشتعل

بيته وهو نائم ومات مخنوقًا، فأخذ أنفنائيل جسد عتمان، كان يجب أن يموت الجسد في مكان وجودنا، وأيضًا بيننا عهد بعدم قتل أحد بأنفسنا، واحترق المنزل، بعد مرور الأعوام جاءني الخادم "أرانوس" وأشار على المسخ، وقال إن أحدهم تسلل إلى منزل عتمان، وعندما دخلت أنت وأصدقاؤك بيت عتمان وعند خروجكم دخل جدك البيت وقتله صديقك الواقف بجانبك بعد ما ضربه على رأسه، حينها كان جسد عتمان ينتهي، وكان يجب أن يجد أنفنائيل جسدًا ثانيًّا له، لذلك وضعنا المخطوطة لصديقك صلاح في الغرفة حتى وجدها وأخذها، ولكن عندما مات جدك وكان جسده مناسبًا أخذه أنفنائيل، والجثمان المحترق كان جثمان عتمان وليس جدك.. أخذ صلاح المخطوطة وذهبت إليه لتعليمه طريقة قراءة المخطوطة، وأخبرته أن المخطوطة في نهاية المهام خلود وكنوز، وكان صديقكم طمَّاعًا حتى أن المهمة الثانية كانت قتل عائلته فقتلهم!

وكنتم أنتم المهمة الثالثة، وهي بإيصالكم إلى المخطوطة ودلكم عليَّ حتى أساعدكم، ولكن اليوم كان ميعاد إعدامه وأنتم نسيتم ذلك، وبعدها جئتم إليَّ وعلمتكم.

عمر:

- إذَن لماذا جعلتم صلاح يقتل عائلته، ولماذا جعلتنا نقتل رجلًا فاسدًا مثل سمير؟

سيرانا:

– قتل صلاح لعائلته كان لكشف ولائه لنا فقط، وأما الرجل الفاسد كان في البداية مقدر لكم أن تقتلوه، نحن من كنا نوسوس لك يا شريف حتى تنتبه لكلام سمير وأن تقتلوه.

أنا:

– لماذا كنتم تريدون قتله؟

سيرانا:

– لأنه هو من كان يشعل النار في البيوت، وجاء لي وهددني أن يشتري بيتي أو يطردني، فوضعنا لكم المهمة وسببنا الأسباب حتى قتلتموه، وها نحن هنا.

أنا:

– ماذا عن عمتي وأبي، وماذا فعل عتمان لعمتي؟

سيرانا:

– عمتك لا أعرف كثيرًا عنها؛ لأنها لا تهمني لا هي ولا أبيك، ولكن عتمان بعد ما ابتعدت عنه بفترة كان يريد الزواج من عمتك لتلد له الوريث، ولكن كان أبوك العقبة، لأن من متطلبات الوريث إذا تزوج عتمان من عمتك يجب أن يكون بموافقة أهلها، لأنه إذا حملت بالوريث يجب أن تتم مراسم معينة، ومن ضمن شروط المراسم أن تكون الزوجة متزوجة زواجًا شرعيًّا بموافقة الأهل حتى تتم المراسم،

فرصد عتمان لعمتك راصدًا من الجن يسيطر على قرينها لتوافق ويتزوجها، ولكن قتل أبيك لم يكن في حسبان عتمان، لأن الراصد خرج عن السيطرة فقتل أبيك، بعدها دخلت عمتك مستشفى الأمراض العقلية وهرَّبها عتمان، ولكن لا نعرف عنها شيئًا من ذلك الحين، هل من سؤال آخر؟

أنا:

- أريد أن ينتهي كل ذلك.

- ونحن عند كلمتنا، وكما كان عهد المخطوطة بأنه لكم أمنية ستحقق لكم، ولكن قبل ذلك هناك شيء أخير، انظروا إلى الأسفل.

نظرت لأجد خنجرًا غريب الشكل، أشعر بأني رأيته سابقًا!

سيرانا:

- واحد منكم سيخرج من هنا حيًّا، وتذكَّر يا شريف بأن عمر من قتل جدك، وتذكر يا عمر كيف كان يعاملك شريف.. أمامكم حتى نفاد الوقت.

أمسكت ساعة رملية وبدأ الوقت بنزول الرمال، نظرنا لبعضا بعضا، وبدأنا في الالتفاف حول بعضنا بعضًا، حاول عمر طعني ولكن لم يستطع فبادلته بالهجوم، وكان الوقت على وشك الانتهاء، ثُمَّ بحركة سريعة منه طعنني بالخنجر وأنا أنظر إليه، تذكرت الآن هذه اللحظة التي كنت أحلم بها دائمًا، يطعنني شخص مجهول الملامح وبشكل الخنجر نفسه، ولكن لم يكن شخصًا مجهولًا؛ بل كان صديقي عمر، لأسقط على ركبتي.

ويلتفت عمر لسيرانا ولأنفنائيل، ويتباهى ويقول لهما:

– الآن ستتحقق أمنيتي.

فوقفت وناديت على عمر وطعنته بالخنجر، أتذكر نظرته لي وهو في صدمة، لأسقط ويسقط بعدي عمر على الأرض، ونحن ننظر لبعضنا.

عمر:

– لماذا فعلت ذلك؟ أنا لم أطعنك إلا لإنقاذك، كنت سأتمنى مغادرتك هذا المكان.

ليفقد عمر وعيه، ثُمَّ رأيت جدي يقترب، ولكن بدأت ملامحه تتغير وظهر كائن مرعب؛ إنه أنفنائيل، كائن طويل القامة وضخم يشبه الدخان، ذو شعر كثيفٍ أصفر ذهبي، ووجه كا.. كا.. كالوحوش، ولكن مشوه، لديه عينان منهما عين واحدة مفتوحة في نصف وجه، وأنياب كأنياب مصاصي الدماء ولكن أكبر، وفمه بداخله نار كأن ما بداخل الدخان أو جسده يحترق، وقرن واحد كبير، والثاني كأنه مكسور، ونصفه السفلي كدخان جني مصباح "علاء الدين".. كان يقترب مني، وأنا أنظر لعينيه المشتعلة لأفقد الوعي، وأستيقظ أجد أنفنائيل يتحدث لي بصوته المرعب الذي تخشع منه الأبدان

أنفنائيل:

– مبارك لك، ولك عهدي أن تتحرر، ولكن ستحل عليك لعنة المخطوطة للأبد، ولن تكون مثلما كنت.

لم أفهم ماذا يقصد حتى فُتحت بوابة من تحتي، وفقدت وعيي.. لم أعرف كم من المدة فقدت الوعي! ولكن عندما استيقظت كنت مستلقيًا على سريري، والغرفة مظلمة.. وأشعر بتعب شديد في جسدي، لأرى أسفل باب الغرفة ضوء يظهر، ويختفي بمرور أشخاص من حوله، لأسمع من الخارج صوت نساء وصوت... أيعقل! أهذا صوت جدي! هل كل هذا حلم؟ هل كل ما مررت به كان مجرد حلم! هل كنت كل ذالك في غيبوبة وهذه آثارها! هل عندما فقدت الوعي في بيت عتمان وأنا من وقتها وأنا في غيبوبة! لا أصدق، أنا لا أصدق نفسي! في تلك اللحظة كنت سعيدًا سعادة لا توصف.

لأقف على قدمي وأنا أشعر بدوار شديد، لا أرى بوضوح وزغللة في عيني ووجعًا في أسفل بطني، لأذهب إلى باب الغرفة وأقوم بفتحها والخروج منها، وأنا لا أرى بوضوح، ولكن أرى شخصًا يقوم بلبس جلباب، هذا جدي جدي!

- لماذا يا بني قمت من سريرك؟ هكذا سوف ينال منك الإرهاق مرة أخرى.

عندما اقترب مني قمت باحتضانه بشدة وأنا أبكي بشدة.

- ما هذا الحضن سوف أختنق يا بني أنت تخنقني، ولماذا تبكي؟! أنت الآن بخير، لا تخف نحن بجانبك.

بعدها رأيت أكثر من شخص يقوم بحَضني.. من هؤلاء الأشخاص؟ بعدها اختفى جدي وسط الزحمة، فناديت عليه "جدي، جدي، جدي" فتوقف الجميع عن الكلام، وفي لسان واحد:

– جدك مَن؟

– جدي هذا. وقمت بالإشارة عليه.

فردَّت سيدة:

– جدك من يا عمر؟ هذا أبوك.

أسمع صوتًا من بعيد يقول:

– إنه تأثير الصدمة وما حصل له، اتركوه يرتاح وسيكون بخير.

صدمة! أي صدمة؟ عمر! عمر من؟

هنا اتضحت رؤية عيني.. لحظة واحدة، هذه ليست شقتنا، هذا ليس بيتنا، إن هذا بي... بيت.. إنه بيت عمر صديقي!

أنا شريف، ماذا تقصد؟ أريد مرآة، أريد مرآة.

أعطاني أحدهم المرآة، ونظرت فيها لأجد أني في جسد عمر، أنا أصبحت عمر!

الآن تذكَّرت كلام أنفنائيل..

"مبارك لك، ولك عهدي أن تتحرر، ولكن ستحل عليك لعنة المخطوطة للأبد، ولن تكون مثلما كنت".

كان يقصد أن تحل عليّ لعنة، وأن اللعنة هي أن أكون في جسد صديقي الذي قتلته، أصبحت في جسده! وأنا أنظر في المرآة وأنظر لعينه، أتذكر نظرته لي عندما طعنته، لعنتي هي الندم، وأن أنظر في وجهه دائمًا، وأن أعيش حياته ووسط أهله، كيف سأفعل ذلك؟

بعدها تركوني في غرفتي وخرجوا، فدخل بعدها بعض الأشخاص أنا أعرفهم، إنهم أهل عمر، وأصبحت عمرًا منذ تلك اللحظة، وبعد ما تعافيت ذهبت إلى بيت السيدة هويدا، أو اسمها الحقيقي سيرانا، ولكن كانت قد تركت البيت، وكان البيت خاليا؛ إذ إنها باعت بيتها للشركة وجميع من في القرية باعوا بيوتهم بعد ما حدث من جرائم، حتى أمي وأختي.

اليوم أتم عامي الخامس والثلاثين، مرَّ عشرة أعوام على حصولي على اللعنة، ولم أرَ أمي ولا أختي، وكنت أراقبهما من بعيد؛ لأطمئن على أحوالهما وأُرسل الأموال لهما في بيتهم الجديد، عشرة أعوام مرّوا وأنا أبحث عن سيرانا وأنفنائيل، أبحث عن طريقة لكي أتخلص من هذه اللعنة، هذه المخطوطات تدمِّر وتقتل حاملها ومن حوله، لقد جعلتني المخطوطة إنسانًا غير الذي كنت عليه، جعلتني أنفذ الخطايا الأربع الذي حذرني منها جدي عندما كنت صغيرًا؛ لقد نبشت القبور وسرقتُ جثة عتمان الذي كنت أظنه جدي، وقتلت عم حسان حارس المقابر، وقتلت سمير القاضي، وقتلت صديق طفولتي، وخسرت جدي وأصدقائي الثلاثة، وخسرت كل ما أملك.. لا أعرف كيف أتخلص من هذه اللعنة! إلى متى

سيظل أنفنائيل مصدر الشر في العالم؟ وكيف يمكن القضاء عليه؟ من المؤكد أن هناك طريقة ما للقضاء عليه، وسوف أجدها.

أمسكت جريدتي الصباحية صفحة الحوادث.

خبر كبير تحت عنوان:

"عائلة من الجحيم"

شاب يدعى فتحي. ع.م. قتل عائلته بالكامل، ويقول إنه لا يتذكر شيئًا، وأنه لم يقتل أحدًا، ولكن شيطانًا يدعى أنفنائيل قام بقتلهم، وقد تم الحكم عليه بالإعدام شنقًا.

وميعاد تنفيذ الحكم الأسبوع القادم ٨\٨

تركت الجريدة بعدها من يدي، الآن عرفت ما عليَّ فعله.

أنفنائيل لا يقهر
ولكن
عطية الراوي قادم مرة أخر

الفهرس

الفصل الأول "حفلة عيد الميلاد"	١
الفصل الثاني "لعله خير"	١٥
الفصل الثالث "البيت الملعون"	٣٣
الفصل الرابع "بداية العاصفة"	٤٣
الفصل الخامس "المخطوطة"	٥١
الفصل السادس "المهمَّات الثلاث"	٦٣
الفصل السابع "الحقيقة المظلمة"	٨٩
الفصل الثامن "أنـفـنـائـيـل"	١٠١